مُنظمات الشاندا و محنة الأكاديميين الأمريكيين

د.حازم صابوني

مُنظمات الشاندا (*)

و

مِحنة الأكاديميين الأمريكيين

Shanda Organizations

And

The Ordeal of American Academics

31 فَتَذْكُرُونَ طُرُقَكُمُ الأَثِيمَةَ وَتَصَرُّفَاتِكُمُ الطَّالِحَةَ ، وَتَمْقُتُونَ أَنْفُسَكُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ لِمَا ارْتَكَبْتُمْ مِنْ آثَامٍ وَرَجَاسَاتٍ .

32 لِهَذَا اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَجْلِكُمْ أَنَا أَفْعَلُ هَذَا ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَاخْجَلُوا وَاخْزَوْا مِنْ طُرُقِكُمْ يَاشَعْبَ إِسْرَائِيلَ .

حزقيال 36 : 31 - 32

(*) الشاندا في اللغة اليديشية تعني الخزي والعار ، ولاتزال اليديشية تستخدم من قبل شريحة عريضة من يهود أمريكا من ذوي الجذور الأوروبية الشرقية .

mhs 2009

المقدّمة

صناعة الأعداء

الحرب على الأنظمة التعليمية الأمريكية
- **علمنة أم هيمنة ؟**

المعركة الكبرى

- **نشأة وتطوّر اللوبي الجامعي**
- **طفرات هيليل الجديدة**

آليات الضغط للوبي الجامعي
- **تقديم عرائض الاحتجاج الجماعية**
- **كتابة الرسائل والبريد الإلكتروني**
- **تنظيم لوائح التشهير السوداء**
- **التدخّل في التشريعيات والقوانين الجامعية**
- **اغتيال السمعة العلمية و إقصاء الأكاديميين**
- **الاتهام بالعداء لأمريكا**

عندما تستورد الثقافة

المقدمة

" لم يحدث في تاريخ الدولة اليهودية المعاصر ، أن نمت بين نخب طلاب الجامعات الأمريكية مثل هذه المعارضة الصريحة للمبادىء الأساسية والمعتقدات التي تقوم عليها إسرائيل . ولنكن في منتهى الصراحة ، إذا ما بقي هذا التوجه على حاله ، فإن الالتزامات الأمريكية والتحالف الأمريكي - الإسرائيلي لن يبقى على قيد الحياة " .

كانت هذه هي الصرخة التحذيرية التي أطلقها الباحث فرانك لونتس في دراسته الاستشفافية ، التي صدرت مؤخراً تحت عنوان " أمريكا 2020 : كيف يرى الجيل القادم إسرائيل " [1] .

النتيجة التي توصل إليها لونتس هي حصيلة استفتاءات لمجموعات عشوائية من الطلاب المتميزين في أعرق الجامعات الأمريكية ، في اختصاصات حساسة كالصحافة والقانون والعلوم السياسية وإدارة الأعمال والإدارة وغيرها . فطلاب اليوم ، كما يرى لونتس ، هم قادة الرأي غداً ، و صانعو القرارات مع حلول عام 2020 . والجيل الأمريكي الجديد يعارض أكثر فأكثر إسرائيل والصهيونية ، ويرفض ديمقراطيتها وعلاقاتها المتميزة مع الولايات المتحدة واللوبي اليهودي ويبدي تعاطفاً متزايداً مع الفلسطينيين ؛ كما أنه بدأ يرى الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي على أنه صراع على الحقوق المدنية .

فمحصلة الحوارات التي أجراها لونتس لساعات طويلة مع من يصفهم برجال المستقبل من القانونيين والصحافيين ورجال الأعمال و الجيل القادم من أعضاء الكونغرس والسيناتورات ، تشير إلى مدى فشل الجهود التي بذلتها القيادات اليهودية الحالية لنصرة إسرائيل في أمريكا . والحقيقة المُرّة كما يراها ، تكمن في خسارة " حرب " التواصل مع هذه النخب المستقبلية . وما لم يقف اليهود الأمريكيون ومناصروهم " ويحاربوا " هذه التوجهات لدى الطلاب ، فإن الجيل القادم من القادة الأمريكيين لن يروا إسرائيل حليفة للولايات المتحدة بل عبئاً عليهم وربما من غير المجدي حمل هذا العبء .

ولعل ما أثار حفيظة وقلق قادة اليهود في أمريكا وإسرائيل في هذا الاستفتاء ، بعض إجابات الطلاب المحّبطة لكل الجهود الإعلامية المُضنية التي بذلتها منظماتهم خلال عقود على التراب الأمريكي :

- *أعتقد أن ما تفعله إسرائيل للفلسطينيين هو فعلاً ما جرى لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية . ما أعرفه أنهم يعيشون في ظل نظام إرهابي . وفي الحقيقة ، لو كنت فلسطينياً لا أدري إذا ما كنت سأطوق جسدي بقنبلة ومن ثمّ أفجّر نفسي .*
- *أنا متأكد أن هناك أمهات يهوديات سيكّن سعداء عند مقتل الفلسطينيين . إلا أننا لا نرى ذلك (في إعلامنا) .*
- *إن الإعلام الأمريكي يناصر إسرائيل لأن ذلك يتفق مع مصالحنا ... فعندما يهاجم الفلسطينيون اليهود يتم وصف ذلك بالهجوم العدواني ، وعندما تهاجم إسرائيل يقدم لنا على أنه عمل انتقامي .. .*

ولعل أخطر ما اكتشفه لونتس في استفتائه ، هو أن فكرة " الدولة اليهودية " هي الأكثر اعتراضاً لدى هذه النخب الطلابية لأنها تمثل قومية إثنية و توحي بالتوجه الديني والتطرّف وحتى العنصرية . كما تعني الدولة اليهودية بالنسبة لهم بأن الكفاح الفلسطيني هو كفاح مدني لضمان حقوقهم والاعتراف بهم . أما من يقف وراء هذا التوجه الطلابي المعارض لإسرائيل والصهيونية والداعم للفلسطينيين ، فيرجعه لونتس إلى عاملين رئيسين " أساتذة الجامعات " ومن ثمّ " شبكة الإنترنت "

---

[1] **"America 2020 : how the Next Generation Views Israel " , Frank Luntz , 2004**

صناعة الأعداء

أن يتحدث لونتس في تقريره عن خسارة " حرب " التواصل مع الطلاب وضرورة " مُحاربة " التوجهات المُعادية لإسرائيل لديهم ، يعني أن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة كان يخوض منذ أمد معارك ذات طبيعة خاصة ، العدو الرئيسي فيها هوالنظام التعليمي و أساتذة الجامعات والمعاهد الأمريكية . وهذه النتيجة ليست مستغربة ، إذا علِمنا أن اليهودية بشقيها الديني والأيديولوجي السياسي قد بُنيت تاريخياً وحاضراً على " صناعة الأعداء " ومن ثمّ خوض الحروب معهم . وليس علينا سوى العودة إلى نصوص العهد القديم وتعاليم التلموديين ومن ثمّ كتابات ومقولات أقطاب الصهيونية العالمية لنكتشف هذه الحقيقة [2] . ولعل أبرز مثال يمكن ضربه في هذا الخصوص ، هو مقارنة العقد الإجتماعي للفيلسوف الفرنسي روسو ، كأساس لبنية المجتمع والدولة ، وبين تعريف هرتزل بأن الأمة هي مجموعة تاريخية من الأفراد المتلاحمين يجمع بعضهم البعض "عدو مشترك " [3] . وهل يحتاج المرء إلى الكثير من الفطنة ليلحظ الفارق الكبير بين فلسفة روسو الإنسانية وفلسفة هرتزل العدوانية التي تجمع " الأمة " اليهودية في إسرائيل و في الشتات ؟

ولكن من هو هذا العدو المشترك ؟ في أواخر القرن التاسع عشر ، بدأ اليهود في أنحاء العالم بتسويق مصطلح جديد أسموه " معاداة السامية " ، ليغلب على ما كان متعارفاً عليه في أوروبا القرون الوسطى من " رُهاب اليهود أو كراهية اليهود " [4] . وقد بدأ المؤرخون والأيديولوجيون اليهود من أمثال برنارد لازار وشيمون دوبنوف و يهودا لايب بينسكر ومن ثمّ تيودور هرتزل ، استخدام هذا المصطلح بزخم في كتبهم وخطاباتهم . ورغم خطأ هذا المصطلح الجديد ، فقد تمّ تبنّيه وتعميمه من قبل جميع الكتّاب والفلاسفة والمنظمات اليهودية وإلى يومنا هذا ؛ بل وجعل العداء للسامية جزءاً لا يتجزأ من التاريخ اليهودي والعالمي ، كما يشير إلى ذلك الصحافي أبراهام روزنتال : .. *بعد المسيح ، أصبح تاريخ اليهود بشكل كبير هو تاريخ العداء للسامية* . و لابد هنا أن نتساءل عن مغزى التحول من مصطلح الرُهاب والكراهية إلى المُعاداة أو الضدية ؟ فالرُهاب والكراهية تمثلان حالات نفسية سلبية وغير فعالة ، في أغلب الأحوال ، سواء أكانت فردية أو جماعية . أما المُعاداة أوالضدية فهي حالة إيجابية ترتبط بأفعال ذات طابع هجومي أو عدواني . وبالتالي ، تولدت القناعة لدى اليهود بأن من يلصقون بهم تهمة العداء للسامية هم أعداء حقيقيون يستهدفون وجودهم . وقد جسّد هذه الحقيقة هرتزل بجلاء في كتابه *دولة اليهود* : *... إن*

---

2 **تتكرر كلمة " الحرب " في كتب العهد القديم 208 مرة !**

3 **Dearborn Independent , Issue of 16 October ,1920**

4 **Jew- hatred ، Judaeophobia ، Anti-Semitism**

الشعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيهم هم جميعاً مُعادون للسامية إما جهاراً أو خفية ... وعندما يستقر اليهود في دولة خاصة بهم فلن يكون لهم ، على الأرجح ، أعداء [5] . وواضح هنا أن هرتزل قد وضع غالبية شعوب العالم في خانة المُعادين للسامية وبالتالي ، فهم أعداء لليهود سِراً أو علانية و يجب بالتالي محاربتهم .

في عام 1948 تحققت أمنية هرتزل وحواريه ، ومن خلفهم يهود العالم في إنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين . و كان من المفترض أن لايبقى لليهود أعداء ، أو أن يتضاءل على الأقل عددهم كما تنبأ هرتزل ؛ وبالتالي أن تصبح مسألة العداء للسامية في ذمة التاريخ . إلا أن الوقائع تشير إلى عكس ذلك . إذ تبيّن مقاربة شبه إحصائية لعدد الكتب المنشورة ، حول العداء للسامية ، الأرقام التالية [6] :

" العداء للسامية "	عدد الكتب الصادرة قبل عام 1948	519
	عدد الكتب الصادرة بعد عام 1948	7220

ويتضح من هذه النتيجة أن أعداد هذه الكتب قد زاد أكثر من 13 ضعفاً ، بعد عام 1948 ، عما كانت عليه قبل إنشاء دولة إسرائيل . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأرقام لا تشمل ما نشر في الصحف والدوريات والمجلات والموسوعات باللغة الإنجليزية . وعلينا أن نتخيل مجموع ما كتب حول هذا الموضوع بعد عام 1948 وإلى يومنا هذا لو أضفنا إليه ما كتب باللغات الحيّة الأخرى .

والسؤال هنا لماذا تطوّرت الأمورعلى عكس توقعات أو نبوءة هرتزل ، ومن هو المسؤول عن هذا التطوّر ؟ في الواقع ، وكما يستدلّ من خلال تتبع مصطلح العداء للسامية و استخداماته في أدبيات وفلسفة الكتّاب اليهود ، أن هذا المصطلح قد أخضع في العقود الماضية إلى التوسّع والتطوير . و كان المتشددون منهم يوسعون دائرة اصطناعهم لأعداء جدد ، سواءً من غير اليهود أو حتى من إخوتهم في الدين من المتنورين والمعتدلين . ففي البدايات ، استخدم مصطلح العداء للسامية كواجهة لاستدرار " تعاطف " العالم الغربي من خلال تذكيرهم بمعاناة اليهود التاريخية في شتاتهم . وبشكل أخص في روسيا القيصرية بعيد أحداث الشغب والفوضى (البوغروم) التي تأججت بينهم وبين الفلاحين الروس في مطلع عام 1881 . وكان الهدف من حملتهم هذه كسب مؤازرة العالم في السماح بهجرتهم من روسيا و دول أوروبا الشرقية وبتمكينهم من إنشاء وطن قومي خاص بهم في أرض الميعاد . ويذكر هرتزل في كتابه الآنف الذكر أن حكومات الدول التي ابتليت بالعداء للسامية ستكون مهتمة بمساعدة اليهود على الوصول إلى

---

[5] " **The Jewish State** ", Theodor Herzl , 1896

[6] **تمّ التوصل إلى هذه الأرقام في نهاية آذار من عام 2009 ، عن طريق موقع مكتبة كويستيا الإلكتروني الذي يضّم مليون ونصف المليون كتاباً ومجلّة وموسوعة في العلوم الإنسانية لحوالي 300 دار للنشر في العالم الغربي . Questia Online Library**

استقلالهم المنشود [7] . هذا الاهتمام ، جسّده وعد بلفور الذي يعبر فيه عن " تعاطف " حكومة جلالة الملك مع تطلعات اليهود القومية .

وفي مراحل لاحقة ، قبيل الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، تحوّل مصطلح العداء للسامية إلى إبراز دور النازية في إبادة اليهود وتهويل إعلامي للمحرقة (الهولوكوست) بهدف تسريع هجرة اليهود إلى فلسطين من جهة ، ومن ثمّ الابتزاز المالي والسياسي لمساعدة الدولة العبرية الناشئة في الوقوف على قدميها من جهة أخرى . وقد بقيت مسألة المحرقة إلى يومنا هذا تمثل العمود الفقري لعداء السامية ، والتي شرح أبعادها الحقيقية الأكاديمي اليهودي نورمان فينكلشتاين في كتابه الجريء " صناعة الهولوكوست " [8]

وحتى لا يفقد مصطلح العداء للسامية التقليدي(الديني والعرقي) زخمه مع التغيرات السياسية التي طرأت في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وقيام دولة إسرائيل ، ابتدع الفكر اليهودي المتزمت مصطلحاً رديفاً في قاموسه الأيديولوجي يعرف الآن بِ " العداء الجديد للسامية " [9] بفرعيه " العداء للصهيونية " و " العداء لإسرائيل " . هذا الرديف بدأ تسوّيقه مؤخراً في أنحاء العالم كوجه مُعاصر للعداء التاريخي لليهود . ويمكن تتبع هذا التوجّه الجديد من خلال إحصائية تقريبية للكتب المتضمنة لهذه المصطلحات المستحدثة :

" العداء للصهيونية "	عدد الكتب المنشورة قبل عام 1948	12
	عدد الكتب المنشورة بعد عام 1948	393
" العداء لإسرائيل "	عدد الكتب المنشورة بعد عام 1948	397

وتتسم هذه المرحلة بزيادة ملحوظة في الابتزاز المعنوي ، بهدف إخراس أي صوت أو قلم يلمّح بالنقد الصريح أو المبطّن إلى إسرائيل والصهيونية أو بالتعرض من قريب أو بعيد إلى سِمات اليهود أو ديانتهم أو تاريخهم ولو من وجهة نظر علمية أو أكاديمية بحتة . فقد كان من البديهي ، من منطلق إنساني وأخلاقي ، أن يسجّل العديد من المثقّفين والأكاديميين اعتراضاتهم على الممارسات الإسرائيلية العدوانية والعنصرية ويكتبوا عنها ، بالطريقة نفسها التي تنتقد فيها ممارسات دول أخرى في العالم . ولما كانت الصهيونية أيديولوجية سياسية ، فقد كان بديهياً أيضاً أن

---

7 **المرجع 4**

8 **" The Holocaust Industry: Reflections on the Exploitation of Jewish Suffering " , Norman Finkelstein , 2000**

9 **" The New Anti-Semitism " , Arnold Forster & Benjamin Epstein , 1974**

يتمّ انتقادها شأنها شأن أي أيديولوجية أخرى مثل الشيوعية والرأسمالية والفاشية والأبارتهايد (التمييز العنصري) وغيرها .

ففي أعقاب حرب 1967 والاعتداءات والغزو المُتكرر على لبنان والانتفاضات المتلاحقة لأطفال الحجارة الفلسطينيين ، تبيّن للدولة اليهودية ومنظماتها أن صورة اليهودي في العالم بدأت تتغيّر من مضطّهد دينياً وعرقياً أو ضحيّة للنازية والمحرقة (سيمون فيزنثال نموذجاً) إلى صورة للعسكري المسلّح إلى أسنانه ويمارس عدوانية ضد شعب شبه أعزل (آرئيل شارون نموذجاً) . وقد عبّر عن تلك المخاوف المؤرخ روبرت ويستريش [10] في مُحاضرة أمام عدد من كبار اليهود المتنفذين في العالم تحمل عنوان : " *العداء للصهيونية كتعبير عن العداء للسامية في السنوات القليلة الماضية* " . ويذكر ويستريش إن هناك حملة جديدة منظّمة ضد الدولة اليهودية والصهيونية وعامة اليهود تشكل تهديداً خطيراً لأوضاعهم في العالم وفي المحصلة لوجودهم . ويبّين أن هذه الحملة قد أخذت الآن أبعاداً عالمية يمكن مقارنتها بالخطر الذي شكلته النازية على اليهود . ويحذّر في الختام ، إنه إذا ما استمر العداء للصهيونية يأخذ هذا الطابع المعادي للسامية المتشدد ، فعلى يهود الشتات أن ينظموا أنفسهم ويقووا روابطهم مع إسرائيل والصهيونية . وفي السياق ذاته ، يحذّر الكاتب الإسرائيلي هيليل هالكين المُعارضين لسياسات إسرائيل أو مواقف الصهيونية بأنه " *لايمكن لهم أن يكونوا ضد إسرائيل أو الصهيونية من دون كونهم معادين للسامية . فإسرائيل هي دولة اليهود والصهيونية هي معتقدهم* " [11] .

أما مصطلح العداء للإسرائيلية فقدمه مانفرد غيرستنفلد [12] في دراسته " *العداء للإسرائيلية والعداء للسامية ، خصائص وأهداف مشتركة* " و يشرح فيها ظهور نوع جديد من عداء السامية موجهاً هذه المرة إلى إسرائيل :

".. *هناك دلائل كثيرة بأن العداء للإسرائيلية هو الطفرة الجديدة الرئيسية لعداء السامية .. ولقد أحرزت(هذه الدراسة) تقدماً في فضح أوجه التشابه للخصائص والدوافع بين العداء للإسرائيلية وبين الشكلين القديمين للعداء للسامية ألا وهما العداء الديني والعداء العرقي* .. " .

وقد يذهب الظن بالبعض أن هذه المصطلحات المستحدثة ماهي إلا ترف فكري أو فذلكة لغوية لكاتب يهودي هنا أو باحث صهيوني هناك . وعلى العكس تماماً ، فعندما يتم تعميم هذه المصطلحات الجديدة في شبكة المنظمات اليهودية العالمية ، يجرى العمل على توسيع تداولها على المسارح والمنابر الدولية و السياسية والإعلامية والثقافية . وفي

---

[10] **" Anti-Zionism as an Expretion of Anti-Semitism in Recent Years " , Robert Wistrich , SICSA , 1984**

[11] **" The Return of Anti-Semitism: To be against Israel is to be against the Jews " , Hillel Halkin , Commentary , Feb. , 2002**

[12] **" Anti- Israelism and Anti-Semitism: Common Characteristics and Motifs" , Manfred Gerstenfeld, Jewish Political Studies Review , 19 , 2007**

خطوات لاحقة ، يتم تثبيتها لغوياً ومن ثمّ قانونياً وتشريعياً . والشواهد التاريخية تؤكد كيف تمّ استحداث وتثبيت مفردات و مصطلحات مماثلة خاصة باليهود وحدهم أصبحت متداولة على نطاق عالمي مثل " الهولوكوست والبوغروم والأكسودوس والترانسفير و الكريستال ناخت و الفينال سوليوشن و أوشفيتس .. وعلى رأسها أنتي سِميتيزم " . وقد تنبّه عالم اللغويات الأمريكي غوفري نونبرغ [13] إلى التلاعب اللغوي ببعض المصطلحات القديمة بهدف إعادة تثبيتها بشكل جديد . فالتعريف التقليدي لعداء السامية ، كما ورد في معجم مريام – ويبستر لعام 1961 ، هو " العداء لليهود كأقلية عرقية أو دينية " . أما في نسخة المعجم لعام 2002 ، فأضيف للتعريف السابق جملة ثانية هي : "*معارضة الصهيونية : أي التعاطف مع المعارضين لدولة إسرائيل* " . كما بيّن نونبرغ كيف أن معجم أكسفورد المختصر لعام 1976 ، يعرّف الفلسطيني بأنه "*الشخص الذي يسعى إلى تشريد الإسرائيليين من فلسطين* " .

وإلى جانب هذه المساعي ، تحرّكت المنظمات اليهودية والصهيونية على الصعيدين التشريعي والقانوني . وتهدف هذه التحركات إلى تثبيت تعريف معاصر لعداء السامية في المحافل الدولية وإصدار قوانين جديدة ترتبط " بجرائم الكراهية " على التوازي معها . وبالفعل ، فقد تبنى الكونغرس والإدارة الأمريكية مصطلح " العداء الجديد للسامية " بإصداره ، في العام 2004 ، تشريعاً (تحول لاحقاً إلى القانون العام 332 - 108) يتطلّب من وزارة الخارجية توثيق ظاهرة العداء للسامية في أنحاء العالم . ومن خلال تقريرها المرفوع مؤخراً إلى الكونغرس ، سجّلت الوزارة تقييمها التالي [14] :

لقد ثبت أن العداء للسامية هي ظاهرة متغيرة . فقد ظهرت أشكال جديدة منها تتضمن في الغالب عناصر من العداء التقليدي للسامية . ومع ذلك فإن الخصائص البارزة لعداء السامية الجديد هي في انتقاد الصهيونية أو السياسة الإسرائيلية ..

كما يشير تقرير الخارجية الأمريكية إلى جهود الدول الأوروبية لإيجاد تعريف أشمل للعداء الجديد للسامية ، و ينصّ على أن معاداة الصهيونية و معاداة إسرائيل ، تصبح تماماً كمعاداة السامية التقليدية عندما يتضمن الانتقاد الأمور التالية :

- إنكار المحرقة اليهودية وغرف الغاز أو اتهام اليهود وإسرائيل في المبالغة بحجمها .
- اتهام المواطنين (في الشتات) من الديانة اليهودية بالولاء لإسرائيل أكثر من ولائهم لوطنهم .
- إنكار حق اليهود في تقرير المصير (وعلى سبيل المثال ، الادعاء بعنصرية دولة إسرائيل) .
- التعامل مع إسرائيل بمعايير مزدوجة .
- استخدام الرموز والصور المعادية للسامية في وصف إسرائيل أو الإسرائيليين .
- مقارنة سياسة إسرائيل المعاصرة بسياسات النازيين .

---

[13] **" Lexical Lessons " , Geoffrey Nunberg , NY Times , 11 April, 2004**
[14] **" Contemporary Global Anti- Semitism Report " , U.S. Department of State , 2008**

- تحميل جميع اليهود مسؤولية ممارسات دولة إسرائيل .
- انتقاد الدولة اليهودية غير المتكافىء و/ أو الإسرائيليين ووصفهم " بالبربرية " [15] أو باللاأخلاقية أو الأنانية أو اللاإنسانية .

ويذكر تقرير وزارة الخارجية ، إن الفقرات الآنفة الذكر ، يمكن أيضاً اعتبارها كنقطة انطلاق مناسبة في الولايات المتحدة لمكافحة العداء للسامية . ويمكن القول هنا ، إنه إذا كانت نقطة الإنطلاق للتشريعات والقوانين الأمريكية و الأوروبية على هذا النحو ، فعلم الغيب وحده قادر على أن يحدّد نقاط النهاية في المستقبل .

وحتى قبل أن تأخذ التشريعات والقوانين الحكومية طريقها إلى التنفيذ الفعلي في تجريم وملاحقة منتقدي اليهود والأيديولوجية الصهيونية والممارسات الإسرائيلية ، كانت المنظمات اليهودية والصهيونية في الولايات المتحدة قد تولت بنفسها إعلان الحرب على حرية الفكر والتعبير للمعارضين والنشطاء من المثقفين والأكاديميين وحملة الأقلام . وفي كل يوم توسّع هذه المنظمات دائرة أعدائها الجدد تبعاً لهذه التعاريف ، إلى الحدّ الذي تساءل فيه أحد الصحافيين : " هل يمكن لليهود البقاء أحياء من دون أعداء ؟ " [16]

في ضوء ما تقدّم ، تتابع هذه الدراسة ما تتعرض له المؤسسات التعليمية في أمريكا من ضغوط وتتقفى سيرورة التعليم الأساسي الأمريكي عامة و الجامعي خاصة ، في ظل الحملات المعلنة عليها من منظمات الشاندا اليهودية ؛ وتستعرض أساليب الإرهاب الفكري والابتزاز الذي يمارس على أساتذة الجامعات والأكاديميين الأمريكيين والمِحن التي يمرون فيها .

الحرب على الأنظمة التعليمية الأمريكية

حرب اليهود على الأنظمة التعليمية الأمريكية ليست حديثة ، بل يمكن تتبع بداياتها لأكثر من مئة وخمسين عاماً مضت . وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ، تغيرت دوافع هذه الحرب وطرق إدارتها والقائمين عليها تبعاً لتغيّر الظروف السياسية والثقافية والزيادة المطّردة لأعداد المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة . فمن خلال الوثائق اليهودية المصدر ، يمكن القول إن أوائل الحملات ضد الأنظمة التعليمية ، قادها رجال الدين من الحاخامات المتشدّدين وتجمعاتهم الكنَسية . ففي الأربعينات من القرن التاسع عشر ، وجّه الحاخام إسحق ليسر دعوة مفتوحة إلى

---

[15] **يبدو أن المشرّعين الأوروبيين هنا قد غضوا الطرف عما قاله هرتزل في كتابه دولة إسرائيل : " .. علينا أن نشكل هناك (في فلسطين) جزءاً من التحصينات والسور الواقي لأوروبا في مواجهة آسيا و قاعدة متقدمة للتمدن أمام البربرية .. " !!**

[16] **" Can the Jewish People Survive Without an Enemy ? " , Tony Caron , Time.com , 1 Jan. , 2009**

اليهود في أمريكا لتوحيد جهودهم المشتركة ، على شكل منظمات ، للحفاظ على الدين اليهودي ومواجهة تحدياته في العالم الجديد . ففي مقالة تحمل عنوان : "*الأطفال اليهود تحت أجنحة المعلمين المسيحيين*" [17] يقول ليسر :

" إنه من الخطأ الافتراض أن المعلمين المسيحيين لن يحاولوا التأثير على عواطف التلاميذ اليهود ؛ بل إن بعضهم سيسعى جاهداً لتشويه أذهانهم وزرع المعتقدات المسيحية الغريبة الأطوار فيها بشكل خفي .. وقد تمّ تسميم عقول العديد منهم إلى الآن . وما يتوجب على الأهالي فعله هو إخضاع أولادهم للتعليم الديني اليهودي لحمايتهم من الهجوم الغادر والمكشوف من أعداء الدين اليهودي المقدس . .. والسعي للسماح لهم بالتغيّب عند تلاوة الصلوات .. كما يجب عدم السماح للمعلمين بالتحدث عن الأمور العقائدية " .

وفي الواقع ، فهناك شواهد تاريخية متعددة في أنحاء العالم ، كان يُحذّر فيها أهالي التلاميذ اليهود من إرسال أبنائهم إلى مدارس أجنبية لاتخضع لسيطرة الكُنس والمنظمات المتشدَدة ؛ وتطلب سحب أولادهم منها وإلحاقهم بمدارس يتعلمون فيها التعاليم الدينية واللغة العبرية والعادات والتقاليد اليهودية لإبعادهم عن " التلوّث " بغير اليهود [18] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، وبعد أن بدأت هجرة يهود بولندا وأوكرانيا وبلاروسيا (التي كانت آنذاك جزءاً من روسيا القيصرية) تتزايد بشكل ملحوظ إلى الولايات المتحدة ، أصبح التدخّل اليهودي في الأنظمة التعليمية الأمريكية عامة أكثر إلحاحاً . وقد حمل هؤلاء المهاجرون ، المتعصبون دينياً ، أفكارهم الخاصة عن الهيدر (المدارس) واليشيفاه (الأكاديميات) السائدة في مواطنهم القديمة إلى عالمهم الجديد . فالانتقال من الغيتوهات أوالشتيتلات الروسية المنغلقة على ذاتها إلى الفضاء الأمريكي الحرّ و الرحب خلق أزمة تعليمية لدى هؤلاء . فقد اضطر غالبيتهم مكرهين إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية العامة لعدم وجود خيارات بديلة أولاً ولكونها مجانية ثانياً . و كانت نظرتهم إلى هذه المدارس على أنها طائفية التوجّه ، لا تراعي حرمة عطلة يوم السبت المقدس ولا تزوّد أولادهم بالمعارف الدينية المُستمدَة من التلمود والتوراة . لقد أصبح عدم اختلاط " النسل المقدّس " بأمم الأرض (كما ورد في سِفر عزرا من العهد القديم) أمراً مستحيلاً في موطنهم الجديد أمريكا .

أمام هذا الواقع ، بدأ الحاخامات والمنظمات اليهودية التدخل بشكل أوسع لتعديل الأنظمة التعليمية بما ينسجم مع مصالح أتباعهم وإخوتهم في الدين . فهذه الأنظمة كانت قائمة قبل وصول الأمواج الكبيرة من المهاجرين الروس ، و بالتالي لم يتمكنوا قبل ذلك من المشاركة في صياغتها بالشكل الصحيح والمناسب لهم .

كان التحرّك اليهودي في بداياته شبه عشوائي ، ويتمثّل في احتجاجات فردية أو جماعية للحاخامات في هذه الولاية الأمريكية أو تلك ، أو عن طريق الجمعيات اليهودية الأرثوذوكسية في المدن الكبرى ذات الكثافة اليهودية العالية ، مثل نيويورك وشيكاغو . وكان الهدف الأولي مقاومة المنظمات المسيحية التبشيرية في المدارس والسعي لتعويض

---

[17] **" Jewish Children under Gentile Teachers " , Isaac Leeser , The Occident and American Jewish Advocate , Vol.1 ,No.9 ,1843**

[18] **The Dearborn Independent, 17 September, 1921**

النقص في التعليم الديني والتقاليد اليهودية واللغة العبرية عن طريق تأسيس مدارس تكميلية خاصة بالمهاجرين الجدد . وقد عبّرت الكاتبة شيري غوريليك [19] بوضوح عما كان يشغل بال هؤلاء في عالمهم الجديد :

".. مع قدوم الموجة الأولى للمهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية في عام 1881 ، لم يكن التعليم (الأمريكي) هو لارتقاء سلم النجاح ؛ فقد كان علماء اللاهوت يُحكِمون قبضتهم على المدارس و المعاهد عن طريق فرض مناهجهم المسيحية والتقليدية .. " .

ومع مرور الوقت ، تحوّل هذا التحرك شبه العشوائي إلى سعي منهجي " لعلمنة " النظام التعليمي العام وإزالة مظاهرالدين المسيحي في المدارس بمجمله . وعلى التوازي ، عمل المهاجرون الجدد جاهدين على طمس الصور العالمية التقليدية لليهودي المُرابي والسمسار الجشِع من أذهان التلاميذ . ومن بينها صورة " شيلوك " في مسرحية شكسبير تاجر البندقية ، أو في قصص تشارلز وميري لام المُعدّة للقراءات المدرسية وصغار القرّاء . ولحسن الحظ ، يمكن للمتابع رصد طبيعة ومضامين التدخّل في تلك الحقبة من خلال ماوثّقه اليهود أنفسهم في مجلدات " *الكتاب السنوي لليهود الأمريكيين* " [20] وفي أرشيف صحيفة النيويورك تايمز . وتعتبر النماذج التالية ، شواهد متواضِعة على التدخّل اليهودي المُكثّف في الشأن التعليمي الأمريكي في مطلع القرن العشرين . فمن أرشيف الكتاب السنوي لليهود الأمريكيين ، نستمد هذه المعلومات :

المجلّد 9 (1907 – 1908)

- *استجابة لاحتجاجات " إتحاد رعايا اليهود الأرثوذوكس "* (المُقدَمة في 27 نيسان ، 1903 ، و 15 أيار و 17 حزيران و11 كانون الأول ، 1906 و 16 كانون الثاني ، 1907) *والتأييد الجزئي المقدّم من مجلس الكهنة اليهود لمدينة نيويورك* (المرفوعة بتاريخ 15 أيار و 11 كانون الأول ، 1906) *، أقرّ المجلس التعليمي لمدينة نيويورك منع غناء التراتيل أو الأغاني ذات الطابع الطائفي أو قراءة أي كتاب ديني ، عدا الإنجيل ، أو كتابة مواضيع دينية من قبل التلاميذ .*
- *تم إلغاء مسرحية شِكسبير " تاجر البندقية " من مناهج المدارس العامة في كل من (مدن) غيلفستون ، كليفلاند ، إلباسو و يونغستاون .*

المجلّد 10 (1908 – 1909)

- 19 تشرين الثاني ، 1907 ، *عارض يهود شيكاغو استخدام الإنجيل ككتاب مدرسي .*
- 13 كانون الأول ، 1907 ، *تم منع قراءة الإنجيل في المدارس العامة في شيكاغو .*
- 20 كانون الأول ، 1907 ، *منع مجلس مدارس بروكلين الإحتفال بأعياد الميلاد .*

---

[19] **" City College and the Jewish Poor: Education in New York , 1880 – 1924 " , Sherry Gorelick , 1981**

[20] **American Jewish Year Book , Vol. 1... Vol. 106 (1899 … 2007)**

المجلد 11 (1909 – 1910)

- انتقلت الحملة ضد احتفالات أعياد الميلاد الطائفية في المدارس العامة إلى بالتيمور وفيلادلفيا .
- نيووارك / نيوجرسي ، تقدم الحاخامات بطلب إلى المدارس الليلية بإيقاف الدروس مساء أيام الجمعة من كل أسبوع ، لأن السبت اليهودي يبدأ في العادة اعتباراً من غياب الشمس يوم الجمعة .
- تقدم الطلبة اليهود في المدرسة العاشرة في نيوجرسي إلى المجلس المحلي التعليمي إلغاء حصة قراءة الإنجيل وغناء التراتيل المسيحية من المدرسة .

المجلد 13 (1911- 1912)

- طلب الحاخام هاري إيتلسون وسلومون أيزنر من مجلس المدرسة في هارتفورد / كونيكتيكوت إلغاء قراءة (مسرحية) *تاجر البندقية من بين القراءات المفروضة على الطلاب .*

المجلّد 14 (1912 – 1913)

- بطلبٍ من منظمتي كيهيلا في مدينة نيويورك واتحاد اليهود الرومانيين ، أصدر مجلس الحرم الجامعي قراراً يمنع جميع المظاهر الدينية الطائفية خلال الاحتفالات السنوية التي ينظمها اتحاد أطفال الروضات في الحرم الجامعي ، بما في ذلك أشجار أعياد الميلاد والاحتفالات والأناشيد المسيحية وغيرها .

وإضافة لذلك ، أوردت صحيفة النيويورك تايمز عشرات الأخبار والمقالات حول التدخلات اليهودية المُبكِرة في شؤون التعليم الأمريكي ، نقتطف منها أيضاً بعض العناوين البارزة :

16 آذار 1907 : "*المدارس تمنع شيلوك ؛ يهود كليفلاند يبررون أنه يعطي انطباعاً خاطئاً للصغار* "

21 كانون الثاني 1909 : " *عمّ الهياج أثناء النقاش حول التعليم الطائفي في المدارس العامة .. خلال جلسة اتحاد رعايا العبرانيين الأمريكيين .. حيث تمّ التأكيد بشدة على أن الولايات المتحدة ليست بلداً مسيحياً وليس لها الحق في إجبار العبرانيين الاستماع إلى تعاليم الإنجيل في المدارس العامة ..* "

وبعد تزايد موجات المهاجرين اليهود إلى الشواطىء الأمريكية ، أصبحت علمَنة المدارس ومنع جميع المظاهر المسيحية في المدارس الحكومية مطلباً دستورياً ، كما يشير إلى ذلك الكتاب السنوي (المجلّد 10 ، ص . 192) :

" إن من أهم أحداث عام 1908 في أمريكا ، طلب بعض الجهات العلمنة الكاملة للمؤسسات العامة في البلد ، والذي يمكن اعتباره مطلباً يهودياً من أجل حقوقهم الدستورية " .

ولعل من المفارقات العجيبة ، أن غالبية هؤلاء المهاجرين كانوا من أشد معارضي عَلمنة المدارس في موطنهم الأصلي . وكما تشير إلى ذلك الموسوعة اليهودية [21] :

.. قامت حكومة روسيا القيصرية ، في العام 1840 ، بمحاولات منظمة ومنهجية لتحسين الظروف الفكرية والأخلاقية لرعاياها اليهود عن طريق إنشاء مدارس عصرية لهم . وقد شكلت لجاناً لهذا الغرض لوضع مخططات للتعليم العلماني ليهود روسيا . ومع ذلك ، واجه هؤلاء محاولات فرض التعليم العلماني على أبنائهم بعدوانية ... حيث ساد الاعتقاد لدى الجماعات اليهودية عامة بأن من يقفون خلف العلمنة هدفهم إبعاد الشبيبة اليهود عن يهوديتهم .. .

ليس هذا فحسب ، فعندما فرضت الحكومة الروسية إلحاق نسبة محددة من التلاميذ اليهود بمدارس التأهيل العسكري (المدارس الكانتونية) كما الحال مع التلاميذ المسيحيين ، اعتبر هؤلاء أن الهدف من هذه المدارس إنتاج جيل جديد من اليهود اللامتهوّدين والسعي إلى إدخالهم بالديانة المسيحية [22] .

عَلمنة أم هَيمنة ؟

في العام 1908 ، وهو العام الذي ارتفعت فيه أصوات اليهود باعتبار علمانية التعليم حقاً من حقوقهم الدستورية وأن الولايات المتحدة ليست بلداً مسيحياً ، لم تكن مصادفة عفوية عرض المسرحية اليهودية "*بوتقة الإنصهار* " [23] على خشبة مسرح كولومبيا في واشنطن . ولقد أراد كاتبها " إسرائيل تسانغفيل " ، وعلى لسان بطل المسرحية ديفيد ، أن يرسم مستقبل أمريكا كما يراها اليهود . أمريكا هي البوتقة التي تصهر جميع الإثنيات والأعراق والأديان للمهاجرين إليها . فروسيا القيصرية التي هرب منها ديفيد وغيرها من دول أوروبا الشرقية ما هي إلا "*حضارات قديمة مدموغة بخاتم العقيدة المسيحية ؛ أما هنا في هذه الجمهورية العلمانية فيجب التطلّع نحو المستقبل* " .

ويبدو أن المجتمع الأمريكي كان يتابع بقلق موجات الهجرة اليهودية الجديدة إلى بلاده . وتبيّن له أن الأمر يتعدى بكثير إنصهار هؤلاء المهاجرين في بوتقته وتحوّلهم إلى أمريكيين حقيقيين . وقد عبرّ عن هذا الواقع أحد السيناتورات [24] بالقول إن دخول هؤلاء المهاجرين عبر حدودنا يكاد أن يَصهِر البوتقة بدلاً من كوننا البوتقة التي يُصهَر فيها الآخرون . كما استعرض الصناعي الأمريكي هنري فورد مجمل القضايا الدينية و السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية المتعلقة باليهود في الولايات المتحدة ؛ و توصل إلى نتيجة مفادها أن الحقوق الدستورية التي يطالب بها هؤلاء لا تتطابق مع حقوق الأمريكيين من قريب أو بعيد ؛ فاليهود ، كما يرى فورد ، قد تبنّوا

---

[21] **Jewish Encyclopedia (Russia , Education) , 1901 – 1906**

[22] **"History of the Jews in Russia and Poland ", Simon Dubnow, 1916**

[23] **" The Melting Pot " , Israel Zangwill , 1908**

[24] **Senator Ellison DuRant Smith , 1924 , Congressional Record , 68th Congress**

مواقف تنبع من قناعاتهم بأن حقوقهم تتمثل في تهويد الولايات المتحدة [25] ؛ و تمكّين المنظمات اليهودية المتطرّفة وأتباعها من إحكام هيمنتها المطلقة على مجمل حركة الحياة السياسية والاقتصادية والإعلامية والتعليمية . المطلوب من أمريكا أن تتكيّف كلياً مع حقوق هؤلاء المهاجرين الجدد ، وأن تُصهَر هي لا أن تصهُرهم .

واليوم ، وبعد مضي ما يقرب من تسعين عاماً على تلك التحذيرات ، نجد أن هذه المنظمات تتصرف في الحياة الأمريكية وكأنها تقوم مقام الوزارات أو المؤسسات الحكومية الرسمية . وكما هو واضح في المثال التالي ، يلاحظ القارىء اللهجة " الآمِرَة " التي استخدمتها إحدى المنظمات اليهودية ، عند مخاطبتها شريحة المعلمين الأمريكيين ، في معرض مناقشتها مسألة تدريس الدين في المدارس العامة :

... ومن الأهمية بمكان أن يفهم المعلم الفارق ما بين تدريس الدين ، وهو أمر محظور ، والتحدّث عن الدين وهو أمر مسموح . كما يجب على المعلمين أن لا يعرضوا مسألة العقيدة الدينية على أنها حقيقة . واستعراض الدين يجب أن يتم في إطار برنامج علماني تعليمي .. [26] .

ومن المستبعد جداً حسب ما هو متعارف عليه تربوياً ، أن تلجأ وزارة التعليم الفدرالية أو أي من المؤسسات التعليمية في الولايات الأمريكية الخمسين إلى استخدام مثل هذه اللغة الاستفزازية الفظَّة في مخاطبتها للمعلمين .

بعد علمنة النظام التعليمي العام ، جاءت الخطوة التالية المُتمثّلة في مراقبة وتحليل المناهج التعليمية التي تؤثرعلى معتقدات التلاميذ الأمريكيين السياسية والإجتماعية والتاريخية . فالمُراقبة هي المرحلة الأولية التي تمهّد لتعديل المناهج وفق المنظور اليهودي . ولبلوغ هذا الهدف كان لا بدّ من تضافر القوى اليهودية ومنظماتها المتعددة . فاحتجاج حاخام أو أستاذ أو طالب في هذه المدرسة أوفي تلك الصحيفة قد يحقق نتائج محدودة ، إلا أنه لا يرقى إلى مستوى الدراسات والأبحاث النقدية للمناهج والكتب المدرسية .

ويمكن الادعاء بأن الحملة على المناهج الأمريكية ظهرت بشكل أوضح في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 ؛ التي وجدت المنظمات اليهودية فيها فرصة لا تعوّض لفتح معركة جديدة مع الإسلام ، وبعد أن أنهَت مهمتها التاريخية في تحجيم الديانة والتقاليد المسيحية في المدارس . وكما سيتضح من الشواهد التالية ، عمِلت المنظمات اليهودية على إثبات أن سوء المناهج الأمريكية وتردّي التعليم في المدارس يعود بمجمله إلى الأخطاء العلمية المُفجِعة والتزوير التاريخي في الكتب التعليمية . هذه الأخطاء " المُفجِعة " تتمحَور حول موضوعين أساسيين ، الدين الإسلامي والصراع العربي - الإسرائيلي ! .

---

[25] **The Dearborn Independent , 5 March , 1921**

[26] **" Religion in Public School Classrooms " , Institute for Curriculum Services , JCRC**

ففي الدراسة النقدية " *الدعاية و الهداية والتعليم العام* " ، الصادرة عن لجنة اليهود الأمريكيين [27] في العام 2005 ، تمّ التركيز على كتاب " *دراسات حول العالم العربي* " ، وهو مرجع تكميلي مساعد يُعّرف بالعرب والإسلام تاريخياً وحاضراً ، ويعتبر واحداً من المراجع المتعددة التي يستعين بها معلمو المدارس على فهم ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى . وكان يكفي أن يصدر هذا المرجع بقلم غير يهودي ، حتى يصبح مثالاً واضحاً للدعاية والتحيّز ؛ ودعوة صريحة لهداية المعلمين ومن بعدهم التلاميذ للمعتقدات الإسلامية والآراء السياسية المعادية لإسرائيل واليهود والغرب . والكتاب - كما تستنتج الدراسة - مَلِيء بالأخطاء لأنه يُبرز الخرافات على أنها حقائق في العقيدة الإسلامية ، ويزوّر تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي . فهو لا يبيّن العلاقة التاريخية لليهود بالقدس ، ويشير إلى قتل اليهود للفلسطينيين في الضفة الغربية ويتفادى التطرّق إلى تفجير الانتحاريين العرب للمدنيين الإسرائيليين . والنتيجة التي توصلت إليها الدراسة النقدية هي أن الكتاب قد أخفق في الاستجابة للمعايير اللازمة لتدريس " أبنائِنا " في المدارس العامة الأمريكية ، وبتعبير أصّح يجب تصحيحه أو بالأحرى منعه كلياً .

" *المِنهج الخفيَ : التلاعب بمعلمي التاريخ الأمريكيين* " [28] هو عنوان آخر لدراسة نقدية مطولة أعدتها المسؤولة التعليمية ساندرا ستوتسكي ، وتتناول فيها لبّ مشكلة تعليم التاريخ والعلوم الاجتماعية في المدارس الأمريكية . فمن خلال المراجع والكتيبات التكميلية المُساعِدة ، المخصَصة لورشات العمل والتأهيل المستمر لمعلمي التاريخ ، تقوم بعض الجماعات (الإسلامية) ذات الأيديولوجيات المتطرفة بدسَ السموم فيها . وفي المحصلة ، تهدف هذه الجماعات إلى التأثير على طريقة فهم وتفكير التلاميذ في المواضيع السياسية والاجتماعية المعاصرة عن طريق تحريف التاريخ وتزوير الوقائع . كل هذا التلاعب يمرّ بشكل خفي بعيداً عن رادارات رقابة المؤسسات التعليمية الرسمية التي تموّل هذه الدورات التأهيلية . وقد أفردت السيدة ستوتسكي الحيّز الأكبر والأهم من دراستها النقدية لمسألة تدريس تاريخ الإسلام والشرق الأوسط . فالمراجع تحتوي على ادعاءات سخيفة ومفارقات تاريخية عن الإسلام ؛ والمقترحات المقدمة لدورات تدريس التاريخ الإسلامي ضعيفة أكاديمياً ولا تتضمن سوى شيئاً قليلاً من التاريخ . وتصل ستوتسكي إلى نتيجة مفادها أن كل هذا لن يساعد التلاميذ الأمريكيين على فهم خلفية أحداث 11 أيلول / سبتمبر والسبب الذي يدعوالمسلمين لكراهية أمريكا ، و أسباب تنامي الأصولية والإرهاب الإسلامي وفقدان الديمقراطية والحقوق القانونية والسياسية للمرأة والصحافة الحرة في العالم الإسلامي وغيرها .

---

[27] **" Propaganda, Proselytizing and Public Education " , The American Jewish Committee , 2005**

[28] **" The Stealth Curriculum: Manipulating America's History Teachers ", Sandra Stotsky , 2005 Fordham Foundation**

وإضافة إلى هذه الدراسات النقدية وغيرها ، أنشأت المنظمات اليهودية معاهد أبحاث متخصصة لمراقبة وتقويم الكتب المدرسية ، يديرها طاقم من الأكاديميين و الأخصائيين في شؤون التعليم . بهدف إضفاء المزيد من المِصداقية العلمية والثِقل الفكري للدراسات . وهناك حالياً " *معهد خدمات المناهج : الموارد الوطنية من أجل مضامين يهودية دقيقة في المدارس* " [29] و " *معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي* " [30] . وقد حُدَدت أدوار كل من هذين المركزين بعناية . فأوكِل إلى المعهد الأول مراقبة المناهج و الكتب المدرسية الأمريكية ، لضمان دقتها والتأكد من عدم انحيازها ضد اليهود وإسرائيل ؛ ومن ثمّ العمل مع صنّاع السياسة التعليمية على تصحيحها . أما المعهد الثاني فيكرّس جهوده على مراقبة وتقويم الكتب المدرسية في منطقة الشرق الأوسط ، وبيان مدى مطابقتها لمعايير تربوية وضعها وفق منظوره الخاص . وقد قام المعهد برصد وتحليل عشرات الكتب المدرسية الفلسطينية والسورية والمصرية والسعودية والإيرانية مقارنة مع الكتب الإسرائيلية .

تشكّل " *معهد خدمات المناهج* " في العام 2005 من قبل وتحت إشراف وتمويل منظمتي مجلس علاقات الجالية اليهودية في سان فرانسيسكو و المجلس اليهودي للشؤون العامة . وكان من باكورة أعماله إصدار كتاب " *الخلل في الكتب المدرسية ، تحّريف التاريخ والدين* " للباحثين غاري توبين و دنيس يبارا [31] . وقد ركّز الباحثان دراستهما على مناهج التاريخ والجغرافيا والثقافة العامة في الولايات المتحدة ، وبخاصة العلاقة بين اليهودية وكل من المسيحية والإسلام بالإضافة إلى الصراع العربي - الإسرائيلي . فمن خلال تحليل 28 كتاباً مدرسياً أمريكياً ، تبيَّن لهما أنها تحتوي على 500 فقرة خاطئة أو مشوّهة حول اليهودية والمسيحية والشرق الأوسط . وبالتالي ، فهذه الكتب المدرسية – حسب رأيهما - أقرب ما تكون إلى تلك الصادرة في العالم العربي وإيران ! . لقد تمّ تحَريف وتشويه كتب التاريخ والدين في جميع الولايات الأمريكية الخمسين بحجة أنها تبرز النمطية السلبية لليهودي واليهودية وإسرائيل ، وتتجاهل الروابط التاريخية بين اليهود وأرض إسرائيل ، كما تحمّل اليهود وِزر قتل (السيد) المسيح . وتدَعي أن الدعاية الإسلامية قد وجدت طريقها إلى هذه الكتب عن طريق جماعات سياسية تسعى لتبييض صفحة الإسلام .

يستطرد الكاتبان في اتهام الكتب التي تُعنى بتاريخ الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي ، بأنها تغطي الوقائع من وجهة النظر العربية والفلسطينية . ففلسطين فيها هي مهد المسيح ، ويسوع المسيح كان فلسطينياً وليس

---

29 **Institute for Curriculum Services: National Resource Center for Accurate Jewish Content in Schools (ICS)**

30 **Institute for Monitoring Peace and Cultural Tolerance in School Education (IMPACT)**

31 **"The Trouble with Textbooks , Distorting History and Religion" , 2008 , Gary Tobin and Dennis Ybarra .**

يهودياً . أما يهود إسرائيل ، الذين تعود جذور غالبيتهم لدول شرق أوسطية [32] ، فهم يُسمَون في هذه الكتب مُستوطنين أوروبيين رغم أنهم ساميون متعددو الإثنيات . وتصوّر بعض الكتب الانتفاضة الفلسطينية للطلاب الأمريكيين على أنها ثورة الأطفال ضد الدبابات والجنود الإسرائيليين .أما الإرهاب الفلسطيني فلا وجود له تقريباً .

ويرى الباحثان أن مؤلفي هذه الكتب المدرسية لا يعرفون الكثير عن المواضيع التي يكتبونها ، و أن الناشرين في أمريكا لا يتعاقدون مع أكاديميين لتأليف الكتب المدرسية بل مع هواة . كما يخلصان إلى أن اكتشاف هذا الغزو لمجموعة من المعتقدات الخاطئة في المدارس ، يجب أن يستنفر دافعي الضرائب والآباء والمسؤولين حول سوء استخدام النظام الديموقراطي الأمريكي . و باختصار شديد فإن هذه الكتب المدرسية مُعادية للمسيحية ومُعادية للسامية ومَعادية لإسرائيل ! .

وبالفعل ، يتباهى معهد خدمات المناهج بأنه عمل على تصويب " الأخطاء " الواردة في الطبعات اللاحقة لبعض الكتب المدرسية . [في الملحق (1) من هذه الدراسة ، يجد القاريء نوعية هذه الأخطاء وتصويباتها كما أورده المعهد على موقعه الإلكتروني .]

وفي المقابل ، تنحصر مهمة "*معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي*" في متابعة وتحليل الكتب المدرسية في الشرق الأوسط . وكما يشيع القائمون عليه ، يسعى المعهد إلى تشجيع التسامح والتعددية الفكرية وقبول " الآخر وحقِه في الوجود " ونشر السلام في الشرق الأوسط ، عن طريق دراسة ما تحمله طيات الكتب المدرسية أو ما يتمّ تلقينه للأطفال من أفكار ومبادىء وغيرها . ومن دون الدخول في التفاصيل الدقيقة لعشرات الكتب المدرسية في بعض البلدان العربية وإسرائيل ، سنعرض نتائج الدراسات التي توصل إليها المعهد وقدّمها في مؤتمر تربوي ، نظَمه الاتحاد الأوروبي في العام 2006 ، حول *دور الكتب المدرسية في صراع الشرق الأوسط* :

1- التوجَهات في الكتب المدرسية الإسرائيلية حول العرب والفلسطينيين والإسلام والسلام

بشكل عام تتضمَن الكتب جهوداً حقيقية لتحسين نظرة التلاميذ الإسرائيليين إلى الآخر وتهدئة الصراع العربي الإسرائيلي . ولا تبنى الهوية الوطنية الإسرائيلية على رفض الآخر بل على قبول الهوية الوطنية الفلسطينية . كما أن هناك جهوداً تبذل في هذه الكتب لتحضير التعايش والسلام مع الفلسطينيين .

2- التوجهات في الكتب المدرسية الفلسطينية والعربية والإيرانية حول اليهود وإسرائيل والسلام

[32] يتضح مدى عدم صدقية هذين الباحثين في الادعاء بأن جذور غالبية يهود إسرائيل تعود لدول شرق أوسطية ؛ علماً بأن نسبة اليهود فيها من أصول شرق أوروبية هي 68 % (3.7 مليون من أصل 5.4 مليون يهودي إسرائيلي في عام 2006) . أما اليهود الأفارقة فتبلغ نسبتهم 16 % والشرق أوسطيين 12.8 % فقط !! .

مقارنة بالكتب المدرسية للدول العربية الأخرى ، تتضمن الكتب الفلسطينية مصطلحات أقل فجاجة وإساءة في وصف إسرائيل واليهود ؛ إلا أنها لاتختلف عنها في المقاربات العامة المبنية على العناصر الرئيسية التالية : لا اعتراف بشرعية العدو . تفادي التعرّف الحقيقي على الطرف الآخر والميل الشديد إلى التحامل عليه . عدم تأييد السلام الحقيقي المبني على المصالحة .

فالرسالة الحقيقية التي يودّ المعهد إيصالها إلى العالم ، أن التوجهات لدى العرب خاصة والمسلمين عامة لا توحي برغبتهم في السلام ، حتى على الورق ، كما هو الحال لدى الإسرائيليين . وهم لا يهيئون أجيالهم لقبول الآخر والاعتراف بهويته الوطنية . وبالتالي ، فإن السلام الشامل مؤجل والاحتلال باقٍ إلى حين خلق جيل عربي جديد جاهز للتعايش مع الإسرائيليين . إن إثارة مسألة المناهج والكتب المدرسية ، الفلسطينية خاصة والعربية والإسلامية عامةً ، تدخل في إطار وسائل الضغط السياسية والاقتصادية والإعلامية التي تمارسها المنظمات اليهودية وإسرائيل سواء في المفاوضات السلمية أو على صعيد المنظمات الدولية . وفي جميع الأحوال ، تعتبر الأحكام التي يطلقها معهد *مراقبة السلام* على الكتب العربية هي المرجعية الرئيسية لتنفيذ هذه الضغوطات . وقد أشار إلى دور هذا المعهد والضغوطات الدولية على منظمة التحرير ، الباحث الفلسطيني فؤاد مغربي [33] عندما امتنع البنك الدولي والحكومة الإيطالية ، في العام 2000 ، عن تقديم المساعدات المالية لتطوير الكتب المدرسية الفلسطينية وتأهيل المعلمين ؛ أو من خلال تحذير السيناتورة (السابقة ووزيرة الخارجية حالياً) هيلاري كلينتون : " *عندما يربى الأطفال الفلسطينيون على كراهية إسرائيل ، فكيف لنا أن نتوقع منهم الالتزام بالسلام الدائم ؟* "

وفي المقابل ، فهناك بعض المثقفين من اليهود المُتنورين يعرفون أكثر من غيرهم خلفيات هذا المعهد والمعنى الحقيقي لرسالته السلمية وقبول الآخر . فقد كتب نيثان براون ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن :

" إن المعهد يقدم تقارير متحيّزة ومضلّلة .. فالمناهج التعليمية الفلسطينية لاتدعو للحرب ، إلا أنها وطنية بامتياز . وهي لا تحرّض على الكراهية أو العنف أو العداء للسامية ... وعندما تذكر الكتب الفلسطينية إن عز الدين القسّام كان شهيداً في النضال ضد الإمبريالية البريطانية وبطلاً قومياً فلسطينياً ، يظهر تقرير المعهد أن الجناح الإرهابي لحماس يدعى " كتائب عز الدين القسّام ، وقد أطلق عليه هذا الاسم تيمناً بالإرهابي القسّام الذي حارب البريطانيين واليهود قبل إنشاء دولة إسرائيل .. "

ويعلق براون على هذه النقطة بالقول : *" لو اتبعنا المنطق ذاته على الكتب الإسرائيلية ، فإن أي ذكر لإسحق شامير فيها يجب ربطه بالتشجيع على مذابح الفلسطينيين والاغتيالات السياسية للمسؤولين البريطانيين وموظفي الأمم المتحدة "* [34]

---

[33] **"The Politics of Palestinian Textbooks" , Fouad Moughrabi , J. of Palestine Studies , Vol.31 , 2001**

[34] **" Democracy , History, and the Contest over the Palestinian Curriculum " , Nathan J. Brown , Adam Institute , 2001**

المعركة الكبرى

مقارنة بالتعليم الأساسي ، يُمثِل التعليم العالي في الولايات المتحدة المواجهة الأصعب بالنسبة للمنظمات اليهودية . ففي الجامعات والمعاهد العليا تسود الحريات الأكاديمية سواء في قاعات التدريس أو عند اختيار الكتب و المراجع أو في تحديد مواضيع البحث العلمي . وهي مُحدَدة بوضوح في إعلان المبادىء للحرية الأكاديمية والمناصب الجامعية الذي أقره *الإتحاد الأمريكي لأساتذة الجامعات* في العام 1940 ؛ هذا إذا تجاوزنا التعديل الأول للدستور الأمريكي [35] والذي يؤكّد على حرية التعبير بشكل عام . وبالتالي ، يصبح تدخَل أي كان في الأنظمة الجامعية والمقررات التعليمية والمواضيع البحثية أكثر تعقيداً ومثاراً للجدل على الصعيدين الأكاديمي والثقافي .

ومع ذلك ، يمكن الادعاء بأن علاقة اليهود مع معظم الجامعات الأمريكية لم تكن في يوم من الأيام في أحسن أحوالها . وكما تشيرالمراجع التاريخية ، فقد تزامنت أيضاً الصدامات الفعلية مع الجامعات والمعاهد مع بدء تزايد أعداد المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر . وتنعكس هذه الصورة جلياً من خلال آراء الكتّاب والمؤرخين اليهود حول طبيعة المصاعب التي عانى منها الطلاب في الحُرُم الجامعية منذ مطلع القرن العشرين [36] ، [37] ، والتي يمكن إجمالها بالنقاط الرئيسية التالية :

- الاعتقاد بمحاولة الجامعات الأمريكية إقصاء الطلاب اليهود ومنعهم من الالتحاق بها ؛ بحجَة أن القيم والديانة اليهودية تتناقض مع القيم المسيحية التي كانت تهيَمن على الحُرُم الجامعية .
- وأنه عندما تمكّن بعض الطلاب تجاوز محاولات إقصائهم هذه ، كانت الأجواء الجامعية التي تحيط بهم مُسمّمة بالعداء للسامية . إذ لم يلقَ الطلاب اليهود ترحيباً من زملائهم ، كما جرى إبعادهم عن الجمعيات الطلابية (الأخويات) والنوادي والنشاطات الرياضية والمشاركة في تحرير الصحف الطلابية وغيرها .
- والذهاب بشكل عام ، إلى أن معظم الجامعات مقسّمة ثقافياً إلى قسمين رئيسيين (وأحياناً أكثر) : الطلبة " الأصلاء " من الأمريكيين المُترفين ، الذين يتابعون دراساتهم بكثيرٍ من اللامبالاة وتنحصر اهتماماتهم بالمظاهر المادية وممارسة الرياضة وارتياد النوادي . وفي المقابل ، هناك " الدخلاء " ، وغالبيتهم من أبناء المهاجرين اليهود المُعوَزين ، الذين تنحصر اهتماماتهم بالدراسة الجدَية باعتبارها السبيل الوحيد لتحقيق طموحاتهم في الوصول إلى

---

35 **(First Amendment to the United States Constitution)**

36 **" A History of Jews in American Higher Education ", Valerie Kolko , 2003**
Journal of the Indiana University Student Personnel Association

37 **" Campus Life " , Helen Lefkowitz Horowitz , 1987**

مراكز متقدمة في المجتمع الأمريكي . فالحُرُم الجامعية ، حسب قولهم ، لم تكن لهم مكاناً للمرح أو لممارسة الرياضة أو للمشاركة بنشاطات جامعية خارج صفوفهم .

- الاعتقاد بأن الأنظمة الجامعية الأمريكية لم تكن تراعي خصوصية الطلبة اليهود الدينية . فهي تُجبِرهم على الدراسة أيام السبت والأعياد الدينية المقدسة ، كما لاتوفَر لهم في مطاعمها الطلابية وجبات الكوشر وفق التقاليد اليهودية .

فمن وجهة نظر هؤلاء الكتّاب و المؤرخين ، تعود معظم مشكلات الطلاب اليهود في تلك الحقبة إلى الاضطهاد الديني والعرقي ، سواءً من إدارات الجامعات أو أساتذتها أو طلابها المسيحيين . ومع ذلك ، فإن الأسباب التي يسوقها هؤلاء تحفل بالتناقضات . فتهمة اقصاء الطلبة اليهود عن الجامعات ، تتعارض بشكل واضح مع إحصائية عام 1918 (المرجع 37 ، ص . 76) والتي تبيّن أن نسبة الطلاب اليهود إلى العدد الكلي للطلاب ، كانت 79 % في معهد سيتي و 48 % في جامعة نيويورك و 21% في كولومبيا و 10% في هارفرد . كما أن تهمة إبعاد اليهود عن الجمعيات الطلابية والنشاطات الرياضية والاجتماعية تتناقض مع رغبة هؤلاء الطلاب تركيز جهودهم على الدراسة فقط وابتعادهم طوعياً عن أي نشاطات ثانوية أخرى خارج صفوفهم . و تبيّن الكاتبة فاليري كولكو (المرجع 36 ، ص .8) أن انتساب بعض الطلاب إلى جامعات ومعاهد أُنشِأت حصَراً لليهود ، لم يكن فقط نتيجة للإضطهاد الديني والعرقي الذي واجهوه في الجامعات الأمريكية ، بل أيضاً لرغبتهم في الحفاظ على هويتهم اليهودية وتُراثِها .

والسؤال الأبرز هو ، كيف تنسجم عَلمَنة التعليم وتهميش الديانة المسيحية ، التي حارب اليهود بشراسة لفرضها على المؤسسات التعليمية الأمريكية ، مع الطلبات المتكررة لمراعاة التقاليد الدينية اليهودية في هذه المؤسسات ؟ فالشواهد التاريخية التالية تؤكّد هذا التناقض :

- أشارت صحيفة النيويورك تايمز (13 نيسان /أبريل 1901) إلى تلقي رئيس جامعة كولومبيا رسالة من سكرتير اتحاد الكُنس اليهودية يطلب فيه عدم إجراء بعض الامتحانات المُقرَرة في الجامعة بسبب تعارضها مع الأعياد اليهودية ، وقد تمّ تغييرها رغم أن مواعيد هذه الامتحانات كانت قد حُدِدت قبل عام من تاريخه .

- أوردت النيويورك تايمز (15 حزيران / يونيو 1910) تصريحاً لأحد مسؤولي التربية بأن موعد الامتحانات النهائية للثانويات العامة كان قد حُدَد قبل خمس سنوات من تاريخه . وقد أبلِغ المسؤول من قبل جهات يهودية قبل

شهر من هذه الامتحانات بأن هذا الموعد يتضارب مع أعياد يهودية هامة . وبالفعل تمّ تغيير ذلك الموعد حتى لا يتضرَر مئات الطلبة اليهود الذين سيمتنعون عن تقديم الامتحانات خلال أعيادهم .

- يذكر الكتاب السنوي لليهود الأمريكيين 19 (1917 – 1918) *أن جامعة هارفرد قد انتقِدت بشدة لرفضها تأجيل موعد امتحانات القبول (للطلاب) بسبب تعارضه مع أحد الأعياد الدينية اليهودية* .

إن ما تؤكّده هذه الشواهد وما قبلها من شواهد ، أن الغرض من تطبيق العلمانية في النظام التعليمي الأساسي والعالي كان استهداف العقيدة المسيحية لدى الأمريكيين و من دون تقديم أي تنازلات مقابلة للخصوصية اليهودية . فالتنازلات اليهودية كانت وستبقى دوماً " مؤلمة " لهم . وعلينا أن نتخيل كيف ستؤول إليه الأوضاع التعليمية في الولايات المتحدة ، لو طالبت جميع مكوّنات المجتمع الأمريكي العرقية والقومية والدينية مراعاة أعيادها أو تراثها

نشأة وتطوّراللوبي الجامعي

وكما هو الحال في التعليم الأساسي ، كان لا بد من تكاتف الجهود اليهودية في قطاع التعليم العالي وإنشاء منظمات متخصصة ، تركّز نشاطاتها على الحُرُم الجامعية لتتابع وتراقب عن كثب ما يجري فيها . وبالفعل ، كانت البداية مع تكوين " *مؤسسة الحياة الجامعية لليهود* (*هيليل*) " [38] في العام 1923 . كان الهدف من هذه المؤسسة في المراحل الأولى الإشراف على أوضاع الطلبة اليهود في الجامعات . وكما تشير تقارير المؤسسة ، فهناك اليوم أكثر من 500 مركز لها في الحُرُم الجامعية الأمريكية . وتحرص المؤسسة من خلال مراكزها على إعادة إحياء التراث والعادات اليهودية ، إلى جانب النشاطات الاجتماعية والثقافية الخاصة بالطلاب اليهود . وتتم هذه النشاطات برعاية مشرفين مقيمين في الجامعات ، وغالبيتهم العظمى من الحاخامات وخريجي المعاهد الدينية . وبتعبير أصح ، تؤدي مؤسسة هيليل دوراً يشبه دور المُلحقيات الثقافية - الأجنبية - في الإشراف على طلابها في المغترب . والمفارقة هنا ، أن هيليل تدّعي أنها مؤسسة " أمريكية " تشرف على شريحة من الطلاب يفترض أنهم أمريكيون ، يدرسون في جامعات أمريكية و على أرض أمريكية !

يبيّن أرشيف هيليل ، أن الأسباب الأولية لنشأة هذه المؤسسة الجامعية ، في العشرينات من القرن العشرين ، كان دينياً بشكل رئيسي . فالحاخام بنيامين فرانكل ، صاحب فكرة إنشائها ، كان يرى أن التواجد القوي للمسيحية في

[38] **(Hillel, The Foundation for Jewish Campus Life)**

الجامعات يجب مواجهته بحضور يهودي مُنظّم [39] ، يحمي الإخوة في الدين من " مخاطر الإندماج " في البيئة المسيحية المحيطة بهم . وفي غضون عقدين ، اتسعت رقعة نشاط هيليل من مركز واحد في جامعة إلينوي إلى ثلاثين مركزاً في أهم الجامعات الأمريكية [40] .

في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، طرأ تغيّر ملفت للنظر في أهداف مؤسسة هيليل . فقد توسعت مهمة القائمين على مراكزها الموزعة على الجامعات ، من مجرد الإشراف الديني والثقافي على الطلاب اليهود إلى " مراقبة " الأساتذة والمحاضرات والفعاليات الفكرية والسياسية الأخرى . ومن المؤكد أن هذه النقلة النوعية في الأهداف ، قد فتحت الباب لصراع سياسي وأيديولوجي طويل الأمد و معركة كبرى بين اللوبي الجامعي والأكاديميين الأمريكيين . فتحت عنوان " خفيرالديمقراطية " ، حدَدتْ هيليل في نشرتها لعام 1945 [41] مهمة جديدة لمدراء المراكز المقيمين في الحُرُم الجامعية :

" إضافة إلى مهامه الأخرى يجب على كل مدير في هيليل أن يكون خفيراً .. ففي هذه الأوقات الحرجة ، تلوثت حتى الجامعات بالمُروّجين عديمي الأخلاق . ومصدر هذا التلوث يمكن أن يكون عضواً في الهيئة التدريسية متعاطفاً مع النازية ، أو محاضراً متعصباً دُعي لتقديم محاضرة .. وعلى مندوبي هيليل مراقبة ذلك بعناية لمنع مثل هذه الاختراقات الترويجية . .. وعلينا أن نتذكر أن معادي السامية في أوروبا لم يوفروا جهدهم في جعل الجامعات مرتعاً للكراهية العنصرية المتشددة والإرهاب القومي ، والتي كان أساتذة الجامعات المحرّضين عليها .. يجب علينا هنا (في أمريكا) أن لا ننسى هذه الدروس .. "

المهمة الجديدة التي كُلّف بها حاخامات هيليل سرعان ما نُفّذت على أرض الواقع . ففي ذلك العام ، شهد معهد سيتي في نيويورك بداية أول معركة ضد أحد أعضاء الهيئة التدريسية . فقد استهدف شخصياً رئيس قسم اللغات الرومانسية بتهمة معاداة السامية ضد زملائه ولاحقاً ضد الطلاب اليهود . ففي ماعرف " بقضية كنيكربوكر " [42] التي استمرت تجاذباتها أكثر من أربع سنوات من الاحتجاجات و التحقيق والمظاهرات الطلابية والاعتصام ، كان لمؤسسة هيليل اليد الطولى في إثارتها وفي الإصرار على محاكمة الأستاذ كنيكربوكر و إحالته على التقاعد أو طرده من منصبه . ولم يكن مستغرباً أن تنطلق أولى حملات ملاحقة أساتذة الجامعات والأكاديميين الأمريكيين من معهد سيتي في

---

39 **" how hillel began " , Akiba Pincus , The National Jewish Monthly ,1973**

40 **" Converting Jews to Judaism " , Eduard Grusd , The National Jewish Monthly November , 1939**

41 **" Sentinel of Democracy " , Hillel Broshure 1945 , P. 23**

42 **" The Knickerbocker Case : A Report on the Current Crusade " , Morris Freedman , Commentary Magazine , August 1949**

نيويورك ؛ فقد كان معقلاً لأولاد المهاجرين اليهود الروس حيث بلغت نسبتهم ما يقرب من 80 % من عدد الطلاب الإجمالي .

وإذا كانت هيليل قد دشّنت حربها الأكاديمية ضد المُتعاطفين مع النازية ، فإنها وغيرها من المنظمات اليهودية ، التي نمت بعد ذلك كالفطريات داخل وفي محيط الحُرُم الجامعية ، لن تعدم الوسائل والحجج في اصطناع المزيد من الأعداء . وبالفعل ، وبعد مضي ستين عاماً على افتتاحية هيليل ، تضخّمت دائرة الأعداء إلى حدّ يثير الشفقة والتعجب في آن واحد . فالأعداء " الجدد " للسامية هم الأكاديميون من الخضر والمسيحيين الجدد والنازيين الجُدُد والشيوعيين والتروتسكيين و اليساريين والمناهضين للحروب والعولمة . وعلى رأس هؤلاء يقبع المتأسلمون و الفاشيون الإسلاميون وليس آخرهم " الكارهون لذاتهم " [43] من المُتنورين اليهود .

طفرات هيليل الجديدة

بعد تنامي الصهيونية العالمية و قيام إسرائيل ومن ثمّ نشوء النزاع العربي - الإسرائيلي ، بدأت هذه المتغيرات تأخذ أبعاداً سياسية واقتصادية دولية . وكان من البديهي أن تظهر إنعكاسات هذه المتغيرات في الدراسات والأبحاث الأكاديمية المُعمقة في تخصصات متعددة كالعلوم السياسية والاقتصادية ، كما في علوم التاريخ والمجتمع والقانون والصحافة وغيرها . وأمام هذه المستجدات ، وجد حاخامات مؤسسة هيليل أنفسهم عاجزين عن مواجهة هذا الزخم من الدراسات الأكاديمية والبحوث العلمية المتقدمة والإحصائيات الموثقة ، التي تتناول الأيديولوجيات و أسباب ونتائج النزاع في الشرق الأوسط بأبعاده المختلفة . وقد فرض هذا الواقع الجديد قيام منظمات يهودية نوعية وأوعية فكرية سياسية متخصصة ، تقودها مجموعة منتقاة من حملة الشهادات العليا ، تتصدى للأكاديميين الذين لا تنسجم مناهجهم أو محاضراتهم أو نتائج بحوثهم مع أهداف اليهود أو الأيديولوجية الصهيونية أو إسرائيل . وقد وزّعت مهام هذه المنظمات داخل الحرم الجامعية في شبكة مترابطة ذات تنسيق مركزي . وأوكلت مهمة تنسيق الجهود وتوزيع المهام وتبادل المعلومات فيما بينها إلى مؤسسة جديدة هي" *تحالف إسرائيل في الحَرَم الجامعي* " [44] ، تضمّ تحت جناحيها 33 منظمة يهودية . وإذا تجاوزنا المنظمات الكبرى التقليدية [45] ، التي طوّرت أيضاً برامج ونشاطات خاصة بالشؤون الجامعية ، فقد برزت مؤخراً منظمات جديدة متخصّصة بالتعليم العالي والجامعي ، أهمها :

---

[43] **(Self hating Jews)**

[44] **The Israel on Campus Coalition (ICC)**

[45] **The American Israel Public Affairs Committee (AIPAC) , Anti-Defamation Leage (ADL) , The Zionist Organization of America (ZOA) , Simon Wiesenthal Center (SWC) , etc.**

- *الدفاع عن أمريكا من أجل المعرفة والعمل (دافكا)*
- *مركز مشروع ديفيد للقيادة اليهودية* (2002)
- *لجنة دقة التقارير حول الشرق الأوسط في أمريكا (كاميرا)* (1982)
- *مراقبة الحَرَم الجامعي* (2002)
- *قافلة من أجل الديمقراطية*
- *منظمة طلاب من أجل الحرية الأكاديمية* (2003)

وعلى سبيل المثال ، يركّز مركز *مشروع ديفيد للقيادة اليهودية* على دعم إسرائيل في الحُرُم الجامعية ، بينما تُعنى منظمة *مراقبة الحَرم الجامعي* بمتابعة أعضاء هيئة التدريس شخصياً ، وبكتاباتهم وبحوثهم ومناهجهم التدريسية . وتتخصص *لجنة دقة التقارير حول الشرق الأوسط في أمريكا* بالإعلام عامة و بإعداد التوجيهات للطلبة الجامعيين اليهود في كيفية الردّ على المطبوعات والمقالات المعادية لليهود والصهيونية وإسرائيل وتنظيم الاحتجاجات والعرائض والرسائل وغيرها . ولإلقاء الضوء على توجهات هذه المنظمات ، اخترتُ ثلاثة نماذج منها تتضمَن أهدافها الرئيسية على الصعيد الأكاديمي .

<u>النموذج الأول</u>

تقول " دافكا " ، وهو اختصار بالإنجليزية لمنظمة "*الدفاع عن أمريكا من أجل المعرفة والعمل* " [46] :

" هدفنا تشكيل مجموعات فاعلة مناصرة لأمريكا وإسرائيل في الجامعات والمعاهد الأمريكية .. ومكافحة الدعايات وحملات التلقين التي تسود الآن في الجامعات ، لنظهر الحقائق والمعلومات حول الحرب التي يشنها العرب والمسلمون المتشددون ضد حليفتنا الأولى إسرائيل . إن منظمات الحقوق المدنية العربية - الأمريكية ... تتلقى مساعدات مالية من دول الخليج ومنظمة التحرير الفلسطينية وحلفائهم من الشيوعيين/ الفوضويين الداعين لقلب نظام الحكم في الولايات المتحدة ... الذين باتوا يستهدفون الجامعات والطلاب من خلال حملة تلقين سياسية لإقناع الأجيال الطلابية القادمة بأن إسرائيل يجب أن تفكك مُخلية الطريق لدولة عربية إشتراكية متطرَفة تدعى فلسطين **" .**

وبما أن منظمات الحقوق المدنية العربية - الأمريكية ، كما تدَعي دافكا ، تشنَ حملات دعائية وإقناع في الجامعات الأمريكية ضد الحليفة الأولى إسرائيل ، فهذا سبب كاف كي تدعو المنظمة الولايات المتحدة لشنَ الحرب على العرب والمسلمين على غرار حربها ضد النازية والفاشية في منتصف القرن الماضي :

---

[46] **Defending America for Knowledge and Action (DAFKA)**

" إن أمريكا قد فقدت بوصلتها الأخلاقية وإحساسها بالكبرياء في محاربة الفاشية كما فعلت في الحرب العالمية الثانية ، ونحن في دافكا سنعيد الأمور إلى نصابها " .

وعلى القارىء أن يتخيّل مدى التأثير الجارح لمثل هذه التصريحات المُشبعة بروح العنجهية والغرور على الأكاديميين والمثقفين وأساتذة وطلاب الجامعات الأمريكية ، و كيف أن منظمة يهودية (نكِرَة) ستعيد تصحيح مسار بوصلتهم الأخلاقية لخوض حروب جديدة من أجل الحليفة الأولى ، يكون دمَ الشباب الأمريكي وقودها الأول . أما الطريقة التي تعتمدها دافكا في تصحيح المسار الأمريكي فتقوم على دعم المنظمات المؤيدة للجيش الأمريكي و تشجيع حملات التطوّع التي يقوم بها الجيش في الجامعات والمعاهد !

النموذج الثاني

في الأصل ، تعمل " *لجنة دقة التقارير حول الشرق الأوسط في أمريكا* " واختصارها " كاميرا " [47] على محاربة المقالات والتقارير الإعلامية التي لا تساير وجهة النظر الصهيونية أو التي تنتقد إسرائيل عامة . وإضافة لهذا النشاط ، تقوم بحملة واسعة في المعاهد والجامعات لتجنيد الطلاب اليهود ليكونوا ضباط ارتباط لها وعيون تتابع كل ما يقال أو يكتب في الصحف والمجلات الطلابية في أرجاء الولايات المتحدة . وكمكافأة على خدمات هؤلاء ، تقدم المنظمة للطالب رحلة تثقيفية مجانية إلى إسرائيل وجائزة مادية مقدارها ألف دولار . وقد أعدت منظمة كاميرا دليلاً إرشادياً خاصاً للنشاطات الإعلامية للطلبة الجامعيين اليهود ، أبرز ما فيه :

" يقوم المعادون لإسرائيل بقلب الحقائق التاريخية وتشويه الوقائع متهمين دولة إسرائيل بكل الآثام التي يمكن تخيلها . ويمكن للطلاب دحض هذه الادعاءات وذلك باتباع الوصايا التالية

- تثقيف أنفسهم بالاطلاع على الأخبار والنشرات الصادرة عن المنظمات اليهودية والصهيونية التي تنشر الحقائق وتحارب المعلومات المشوّهة عن إسرائيل والشرق الأوسط .

- تثقيف الآخرين . فعند نشر مقالات خاطئة عن إسرائيل ، يطلب من كاتب المقالة تصحيح المعلومات الواردة فيه ليبّين وجهة النظر الإسرائيلية .

- كتابة مقالات في الصحف والمنشورات الصادرة عن الجامعات . وإذا كان الطالب قد زار إسرائيل فعليه الكتابة عن تجربته في هذا البلد ، مركزاً على صعوبة العيش فيه في ظل التهديد الإرهابي المستمر .

- مراقبة المطبوعات الصادرة عن الجامعة . تحديد عدد المقالات والأعمدة الإخبارية والرسائل الواردة والصور المنشورة التي تروي الأحداث من وجهة نظر إسرائيلية مقابل وجهات نظر عربية .

[47] **The Committee for Accuracy in Middle East Reporting in America (CAMERA)**

- تنظيم محاضرات وورشات عمل وتوجيه دعوات للمحاضرين والمتحدّثين ، مستعينين بخبرات وتجارب المنظمات اليهودية والصهيونية .

- تكوين تحالفات مع المجموعات الطلابية المتعاطفة والداعمة لإسرائيل .

- الإصرار على رئيس الجامعة أن يشجب أي تشهير يتم ضد اليهود في الحرم الجامعي ، وتوضيح أن أي عداء للسامية او الصهيونية أمر لايمكن التسامح معه .

- الاتصال بالمنظمات اليهودية لتأمين المعلومات الإضافية حول مكافحة التحيّز في المدن الجامعية " .

وإضافة إلى هذا ، تشجّع منظمة كاميرا الطلاب اليهود على تفتيش رفوف المكتبات الجامعية بحثاً عن الكتب " العدوانية " ومن ثمّ الضغط على الإدارة الجامعية للتخلص منها [48] .

النموذج الثالث

يعتبر هذا النموذج من المنظمات اليهودية الطفرة الأهم من طفرات مؤسسة هيليل الآنفة الذكر ؛ والشكل المعاصر لما بدأته في حربها منذ عام 1945 ضد ما تسميه بالآكاديميين المتعاطفين مع النازية . والجديد في هذا النموذج هو حملات التشهير العامة ببعض الجامعات أو الأقسام العلمية فيها وصولاً إلى التشهير العلني بأسماء أعضاء هيئة التدريس والأكاديميين الباحثين فيها . والهدف الواضح من هذه الحملات إنهاء خدمات عدد منهم أو إلهائهم عن أداء مهماتهم التدريسية والبحثية بفتح معارك جانبية معهم أو حتى ترهيبهم لتغيير مسارهم وقناعاتهم العلمية . وإذا كانت هيليل قد أوكلت مهمة مراقبة الحرم الجامعية إلى حاخاماتها المقيمين فيها ، فالأخطر هنا ، هو تحويل الطلاب اليهود فعلياً إلى مجموعات من الجواسيس والمُخبرين على الأساتذة والمناهج والمقررات وجميع النشاطات الثقافية في الحرم الجامعية ذات الصلة بإسرائيل و بالصراع في الشرق الأوسط أو بالعقيدة الإسلامية .

ففي أيلول / سبتمبر 2002 ، أعلن دانييل بايبس قيام برنامج " *مراقبة الحرم الجامعي* " ، كفرع متخصص في المنظمة التي أسسها قبل ذلك بحوالي عقد من الزمن "*منبر الشرق الأوسط* " [49] . والمتتبع للسيرة الذاتية لبايبس سيجد أنه كان يهيء نفسه منذ مدة للعب دور نشط في هذا المجال . فقد حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي وتاريخ الشرق الأوسط وتعلّم اللغة العربية في مصر . وإلى جانب كتبه العديدة المُشهّرة بالعرب وبالمسلمين ، كتب بايبس ، منذ عام 1979 ، ما يقرب من 250 مقالاً تدور معظمها حول الإسلام والصراع الشرق أوسطي ، و نشر غالبيتها المطلقة في الصحف والمجلات اليهودية المتشددة ، مثل النيويورك بوست والجروزاليم بوست وكومنتاري والمديل إيست كوارترلي وغيرها .

---

[48] " Camera and Flame " , Mitchell Kaidy , Washington Report on Middle East Affairs , 1993

[49] " Campus Watch" , a Project of " Middle East Forum " . Director Daniel Pipes

ومنذ عام 1995 ، بدأ بايبس يركّز هجومه على بعض الجامعات التي تُعنى بالدراسات الشرق أوسطية والتاريخية . كما بدأ منذ ذلك الحين بحملة تشهيرية علنية على بعض الأكاديميين المتخصصين في هذه الدراسات . ففي ذلك العام وحده تعرّض بايبس بالتجريح لتسعة وعشرين أستاذاً وباحثاً يعملون في كُبريات الجامعات الأمريكية ، مثل كولومبيا وجورج تاون ويال وبيركلي وشيكاغو وفلوريدا ؛ كان منهم أحد عشر أستاذاً أمريكياً من أصول عربية يتقدمهم إدوارد سعيد وهشام شرابي وجوزيف مسعد ورشيد الخالدي وإيفون حداد وحليم بركات وغيرهم . ولم تمض سنوات حتى ارتفع عدد المُشّهر بهم إلى ما يقرب الخمسين ، بمن فيهم أستاذ اللغويات اليهودي نوآم تشومسكي .

ولفهم أسباب الحرب المفتوحة على هؤلاء الأساتذة ، لا بد من الإطلاع على الأهداف المُعلنة التي وضعها بايبس لحملته *مراقبة الحرم الجامعي* . فهو يرى أن القائمين على الدراسات والبحوث الشرق أوسطية في جامعات ومعاهد أمريكا الشمالية (أو بشكل أدق دراسات الصراع العربي - الإسرائيلي) مُتطرَفين وغير مؤهلين أكاديمياً لذلك . وهذا ماينعكس على نظرة الأمريكيين وتعاملهم مع مشاكل الشرق الأوسط عامة . فدراسات هؤلاء مليئة بالأخطاء التحليلية وتفتقر إلى الإحساس بالمصالح " الأمريكية ! " . وإضافة لذلك ، يسيء العديد منهم استخدام صلاحياته ، عن طريق فرض آرائه وأيديولوجياته المعادية على الطلبة بل ويذهب بعضهم إلى السماح بتلميحات معادية للسامية . أما المصادر التي يستقي منها بايبس معلوماته ويبني على أساسها دراساته وبحوثه ، فيشرحها لنا حرفياً :

".. إن دراساتنا التي نقدمها مستقاة جزئياً من التقارير والمعلومات التي يقدمها الطلاب والأساتذة في الحُرُم الجامعية الأمريكية ... يرجى الاتصال بنا وتقديم تقاريرك عن مضمون المحاضرات وعن الصفوف والمظاهرات التي تجري في جامعتك .. "

ومن المثير للدهشة في هذا التصريح ، أن أي تقرير " تجسسي " يرفعه طالب يهودي مُتزمّت أثناء المحاضرات أو في الحرم الجامعي ، يصبح محوراً لدراسة ينشغل بها طاقم البحوث في منظمة بايبس . وبالفعل ، تورد المنظمة ، في موقعها الإلكتروني ، نماذج من هذه التقارير مصنّفة تحت عناوين واضحة " الحوادث داخل قاعات التدريس ، و الحوادث خارج القاعات " [50] .

آليات الضغط للوبي الجامعي

---

[50] **(Classroom-Related Incidents & Non-Classroom Incidents)**
" Bias Incidents at University of Chicago" , 24 July , 2002 , Campus Watch

إن ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية بين التحالفات الدولية المتنازعة أيديولوجياً أو بين الدول المتناحرة أمر مألوف في العلاقات الدولية . وغالباً ما تلجأ الحكومات إليها لتحقيق أهداف محددة أو الوصول إلى مكاسب معينة من الطرف الآخر . ما هو غير مألوف ، أن تمارس الضغوط داخل المجتمع وبين الشرائح المختلفة في الوطن الواحد . فالانطباع السائد لدى الكثيرين أن اللوبي اليهودي ، المُكوّن من شبكة متماسكة من المنظمات ، معنيٌ بشكل رئيسي في توجيه دفة السياسة الخارجية للولايات المتحدة . والحقيقة أن اهتمام هذه المنظمات بالشؤون الداخلية والاجتماعية والتشريعية لا يقلّ أهمية عن الشؤون الخارجية . وآليات الضغط التي تمارسها هذه المنظمات لتحقيق أهدافها ذات أنماط محدَدة تقارب أساليب الابتزاز المُتبعة لدى " الكوزا نوسترا " المافيوية الشهيرة . ولعل الآليات التي يستخدمها اللوبي الجامعي إزاء الأكاديميين وحتى الجامعات لا تشذّ عنها إلا في حدود ضيقة ؛ و يمكن تصنيفها تحت العناوين الرئيسية التالية :

- تقديم عرائض الاحتجاج الجماعية
- كتابة الرسائل والبريد الإلكتروني
- تنظيم لوائح التشهير السوداء
- التدخّل في التشريعيات والقوانين الجامعية
- اغتيال السمعة العلمية و إقصاء الأكاديميين
- الاتهام بالعداء لأمريكا

تقديم عرائض الاحتجاج الجماعية

تعتبر هذه الآلية الأكثر فعالية لدى المنظمات اليهودية . وهي لاتقتصر بالطبع على الشؤون التعليمية فحسب بل وتتّبع في جميع المناحي السياسية والاقتصادية والتشريعية التي تمسّ مصالح اليهود عامة داخل أو خارج الولايات المتحدة . وغالباً ما تترافق هذه العرائض بالتهديدات الصريحة أو المُبطنة ، تبعاً لمكانة وأهمية الجهة التي ترسل إليها . و تتم في العادة صياغة العريضة من أحد أعضاء المنظمات (بعد إغفال إسمها) لتبدأ بعدها حملة علنية لجمع التواقيع على مستوى الولايات الخمسين . والأمثلة التالية هي مقتطفات من هذه العرائض ، تبيّن المدى الذي يمكن أن تذهب إليه في تعاملها مع المؤسسات أو الأفراد :

*** عريضة إلى مجلس أمناء ورئيس جامعة سان فرانسيسكو وإلى حاكم ومشرّعي ولاية كاليفورنيا بإغلاق مكتب الإتحاد العام للطلبة الفلسطينيين في حرَم الجامعة ..**

" .. إن الحركة السياسية الإجنبية التي تمثلها هذه المجموعة قد ارتبطت مراراً بالإرهاب وشاركت في قتل 150 مواطن أمريكي وعدد لايحصى من الإسرائيليين والأوروبيين .. فمكتب الاتحاد يستخدم من قبل قوة خارجية ، كما أن بعض الطلاب فيه هم في الواقع عملاء أجانب .. نحن الموقعون أدناه ، نطالبكم بالإغلاق الفوري لهذا المكتب ... *وأخيراً ، فهناك حالياً حملة مقاطعة لإسرائيل في جميع كبريات الحُرُم الجامعية الأمريكية . هذه الحملة تجبِر ثلاثين بالمائة من أطفال وشيوخ إسرائيل على الذهاب إلى النوم جائعين .. "*

*** عريضة إلى جامعة كاليفورنيا بالامتناع عن قبول المساعدات المالية من المملكة العربية السعودية والدول الأخرى الراعية للإرهاب**

" إن تمويل أقسام الدراسات الشرق أوسطية في جامعات كاليفورنيا هدفه التلاعب بالمقررات الدراسية ضد إسرائيل وفي بعض الحالات ضد الولايات المتحدة ، وذلك بالتأثير المفرط على تدريس تاريخ الشرق الأوسط لينحرف باتجاه وجهة النظر العربية القائلة بأن تفكيك الدولة اليهودية أمر مُحبَذ بل ومبرَر ... "

وحسب رأي الموقعين على هذه العريضة ، فإن أموال المملكة العربية السعودية تؤثر على بعض التنقلات في الحُرُم الجامعية الأمريكية عامة و زرع أساتذة في أقسام الدراسات الشرق أوسطية مُتحيزين في آرائهم ، وهذا ما خلق حالياً جواً من العنف إضافة إلى معاداة السامية في جامعات كاليفورنيا .

*** عريضة إلى رئيس جامعة كاليفورنيا (و نسخة إلى حاكم ولاية كاليفورنيا)**

" نحن الموقعون أدناه ، نطالب جامعة كاليفورنيا بشجب خطاب الكراهية الذي ألقاه أمير عبد المالك علي ... ، في جامعة كاليفورنيا / إرفين ... فخطابه كان مليئاً بالأكاذيب وأنصاف الحقائق والتلاعب . لقد كان هدفه من الخطاب بث روح الكراهية ضد اليهود والصهيونيين ودولة إسرائيل وحتى الولايات المتحدة ... إننا نطالب حاكم ولاية كاليفورنيا شفارتسنيغر وجامعة كاليفورنيا بمنع مثل خطب الكراهية هذه من الحرم الجامعية بشكل دائم . لا تكتفوا بالكلام بل باشروا بالأفعال !! " .

***عريضة إلى شركة فنادق هيلتون**

" لقد وافق فندق " إمباسي سويتس " على استضافة المؤتمر السنوي الدولي السادس الذي تنظمه مؤسسة العودة *المعادية للسامية ، ما بين 16 – 18 أيار 2008* (بمناسبة مرور 60 عاماً على النكبة) *. هذه المؤسسة تعمل وتساعد على الإفناء الكامل لدولة إسرائيل ... وتدعم المجموعات الإرهابية التي لا تقتل الإسرائيليين فحسب بل أولئك الذين يقتلون بعنف جنودنا في العراق . ... وبما أنكم رفضتم الانصياع ، فإننا سنطالب بمقاطعة تامة لفنادق هيلتون والفنادق التابعة لها " .*

كتابة الرسائل والبريد الإلكتروني

إلى جانب العرائض الجماعية ، تعمَد المنظمات اليهودية إلى تحريض اليهود عامة ومناصريها على كتابة الرسائل العادية أو الإلكترونية بشكل إفرادي من جهات متعددة داخل وخارج الولايات المتحدة (بغرض التمويه) للردَ على المقالات الصحفية أو أي نشاطات سياسية أو ثقافية تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني أو الجامعات أو الأفراد وتتعارض مع المشاريع والمخططات اليهودية . وقد أشارت إلى ذلك دراسة الأستاذين ميرسهايمر و والت بعنوان " *اللوبي الإسرائيلي ، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة* " [51] . وتستشهد الدراسة بإفادة أحد المدراء العاملين في

[51] " The Israel Lobby and U.S . Foreign Policy " J.J. Mearsheimer and S. M. Walt , March 2006

محطة سي إن إن التلفزيونية ، عندما تلقى في يوم واحد 6000 رسالة إلكترونية احتجاجية على أحد التقارير السياسية للمحطة ، والذي اعتبره اللوبي معادياً لإسرائيل .

ويمكن التعرّف بشكل أفضل على هذا الأسلوب الابتزازي في الموقع الإلكتروني لمنظمة " *كـاميرا* " الآنفة الذكر ؛ حيث يتم تشجيع المُنتسبين إليها على تشكيل مجموعات " كتابة الرسائل " وطرق الردَ على التقارير والمقالات المنشورة في الصحافة والتي لا تتفق مع وجهات النظر اليهودية والصهيونية والإسرائيلية . في الموقع المذكور الإعلان التالي :

" إنتسِبْ إلى طاقم كتابة الرسائل الإلكترونية .. وهو طاقم من النشطاء في طول البلاد وعرضها من المكلفين بالاتصال والكتابة إلى وسائل الإعلام للتأكد من أن المقالات والتقارير الصادرة حول الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي متوازن وحقيقي .. " .

كما تحثّ المنظمة الطلاب على متابعة أي خللٍ أو ميلٍ إعلامي لوجهة النظر العربية والاتصال بالصحافيين وإبلاغهم بذلك :

" عند قراءة مقالة صحفية أو تعليق أو ردٍ غير دقيق أو جائر بحق اليهود والصهيونية أو إسرائيل ، فعلى مجموعة كتابة الرسائل التابعة لك أن تتحرك للرد عن طريق البريد الإلكتروني . وعندما يلاحظ أي عضو في المجموعة أي خبر من هذا القبيل ، فعليه أولاً إبلاغ أعضاء المجموعة بذلك محدداً تاريخ الخبر ورقم الصفحة في الجريدة والعنوان الرئيسي للخبر أو المقال . ومن ثمّ يقوم واحد أو أكثر بالردّ على المقال وإعلام بقية الفريق بمضمونه " .

ومن قبيل المباهاة ، تشير المنظمة إنه في العام 2007 قام آلاف من أعضاء كاميرا بكتابة الرسائل الاحتجاجية أو بالاتصال الهاتفي مع الإعلام للتعبير عن احتجاجهم على التغطيات الصحفية المُنحازة وغير الدقيقة . وقد أبلغ بعض الأكاديميين ، المتخصَصين بالدراسات الشرق أوسطية ، إتحاد أساتذة الجامعات الأمريكية بأن بريدهم الإلكتروني قد أُغرِق بفيض من الرسائل التهجَمية ، وورد في إحداها تهديد بالقتل [52] . ويذكر حميد دباشي ، الأستاذ في قسم الدراسات الشرق أوسطية بجامعة كولومبيا ، تلقيه مئات الرسائل الإلكترونية والصوتية التشويشية والتهديدية ، إثر مقالة تحريضية نشرها دانييل بايبس ضدَه وضدَ زملائه في صحيفة النيويورك بوست ، ومن بينها الرسالة الصوتية التالية :

" لقد قرأت مقالة ... عنك اليوم . أيها الإرهابي المسلم والخنزير النتن . أتمنى أن تتحرى وكالة المخابرات المركزية عن أوضاعك وتطردك إلى حيث تنتمي في أحد البلدان العربية القذرة .. " .

<u>تنظيم لوائح التشهير السوداء</u>

[52] **Hamid Dabashi, The Times Higher Education Supplement , 18 Oct., 2003**

تعتبر لوائح التشهير ، أو بالأحرى بنوك المعلومات التجسسية على الأفراد والمؤسسات ، العمود الفقري لعمل المنظمات اليهودية ، ليس في الولايات المتحدة فحسب بل في أنحاء العالم . و ما يؤكد هذا النهج ، اعتراف أكبر منظمة يهودية في الولايات المتحدة " *الإتحاد ضد التشهير* " إنها قد بدأت منذ ثلاثينات القرن الماضي أكبر عملية تحرَيات وجمع خزينة من المعلومات الدقيقة والتفصيلية حول الأفراد والمنظمات . والهدف من ورائها مراقبة وفضح المُعادين للسامية والديمقراطية والعنصريين والجانحين للعنف . وإنها كانت تلجأ أحياناً لتتبع نشاطاتهم إلى مصادر سرية [53] . وبالفعل ، فقد قامت الشرطة و مكتب التحقيقات الفديرالي الأمريكي ، في العام 1993 ، بحملة على مكاتب هذه المنظمة في لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو وصادرت ملفات تتضمن لوائح سوداء لحوالي عشرة آلاف شخص وأكثر من ستمائة جمعية ومنظمة أمريكية وعربية سياسية باختلاف أطيافها ، حصلت عليها المنظمة بطرق غير مشروعة أو تجسسية [54] . كما بدأت شقيقتها " *لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية* (*إيباك*) " في العام 1984 بإصدار دليلها الطلابي الشهير " فضح الحملة المناهضة لإسرائيل في الحرَم الجامعي " تدعو فيه الطلاب اليهود لتسمية أي شخص في الجامعات يساعد المجموعات أو المنظمات المعادية لإسرائيل [55] .

ورغم فضيحة منظمة *الإتحاد ضد التشهير* ، فإن بعض المنظمات اليهودية المتخصصة بشؤون التعليم العالي والجامعات تابعت المسيرة في وقت لاحق بإعداد قائمة تشهير بأكاديميين وأساتذة الجامعات الأمريكيين . وكان من أشهرها تلك التي أعدَها ، في العام 2002 ، دانييل بايبس على الموقع الإلكتروني لمنظمة *مراقبة الحرم الجامعي* .

وقد استهدفت اللائحة بداية أسماء عدد من الأساتذة والجامعات ممن وصفوا بالمؤيدين للحقوق الفلسطينية والمعارضين لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط . وقد أثارت هذه اللائحة موجة من الغضب في الأوساط الأكاديمية بوصفها ماكارثية جديدة ، وطلب أكثر من مئة أكاديمي في أنحاء الولايات المتحدة ضَمّ أسمائهم إلى لائحة بايبس السوداء تضامناً مع زملائهم . وكان على رأس هؤلاء أستاذة الأدب المقارن في جامعة كليفورنيا - بيركلي ، جوديث بتلر ، والتي كتبت إلى بايبس :

" لقد علمت مؤخراً أن مؤسستكم تعدّ ملفاً حول الأساتذة العاملين في الجامعات الأمريكية من المعارضين للاحتلال الإسرائيلي ووحشيته والداعمين للحقوق الفلسطينية في تقرير مصيرهم ؛ والمساندين لوجهات النظر العاقلة والأكثر عمقاً للإسلام من تلك التي يتبناها الإعلام الأمريكي حالياً . ويشرفني أن أكون من بين أولئك الذين يتبنون هذه المواقف وأن يضاف إسمي إلى قائمة المناضلين من أجل العدالة في هذه الأيام " [56]

---

[53] **1930-1940 The World and ADL were Changing , Anti – Defamation Leage (ADL)**

[54] **" The ADL files Controversy " , Wikipedia Free Encyclopedia**

[55] **" The War on Academic Freedom " , Kristine McNeil , The Nation , 2002**

[56] **The European Graduate School , Judith Butler , Quote**

وبعد فترة وجيزة من نشر اللائحة وتنامي ردود الفعل العاصفة حولها ، اضطر بايبس إلى إزالتها من موقعه الإلكتروني مُبرراً ذلك بأنها إيماءة " حسن نيّة " من قبله [57] . إلا أن الواقع يثبت " سوء النيّة " أو نوعاً من التحايل والخداع من قبل بايبس ومنظمته . فقد أوكل إلى زميله الكاتب والصحافي ديفيد هوروفيتس تحويل اللائحة (الإلكترونية) إلى لائحة (مطبوعة) لا يمكن إزالتها أو التراجع عنها . وبالفعل ، فقد صدَرَ في مطلع العام 2006 كتاب هوروفيتس " *أساتذة الجامعات : 101 أكاديمي الأكثر خطورة في أمريكا* " [58] . ويمكن اعتبار هذا الكتاب نسخة مطوّرة ومعدّلة لقائمة تشهير بايبس . فقد خُصِص لكل أستاذ من الأساتذة صحيفته السوداء التي تبرّر وضعه في خانة الأكثر خطورة في الولايات المتحدة . وعلى حدّ زعم هوروفيتس ، تتراوح أيديولوجية هؤلاء الأساتذة - المئة وواحد - ما بين اليسارية والماركسية والإسلامية الفاشية . وهم لا يمثلون ، في الواقع ، إلا القمة الظاهرة لجبل ثلجٍ عائم . فهناك في الجامعات الأمريكية ما بين 30000 إلى 60000 أستاذ ناشط ومُتطرّف سياسياً ، يعملون على غسل أدمغة حوالي ثلاثة ملايين طالب جامعي ويفسدون التعليم العالي ما بين المحيطين الأطلسي والهادىء .

وهوروفيتس ، *مؤسس " منظمة طلاب من أجل الحرية الأكاديمية* " ، كان ماركسياً متطرفاً لينقلب بعد ذلك إلى أقصى التطرف اليميني ، أي إلى المحافظية الجديدة . وقد استغل ، كغيره من المتطرفين اليهود - الأمريكيين ، أحداث الحادي عشر من أيلول ليبدأ حملة عنيفة ضد أساتذة الجامعات من اليساريين و دعاة السلام ومناهضي الحروب الأمريكية المعاصرة وضد الإسلاميين الفاشيين ، كما يحلو له تسميتهم .

ومما لاشك فيه ، فهؤلاء الأكاديميون ليسوا بالسذاجة التي يتخيلها هوروفيتس . فالأسباب التي يوردها لاختيارهم من بين الأكثر خطورة على أمريكا تشي بحقيقة الأمر . فجامعة كولومبيا حظيت بأكبر قسط من أعداد الأساتذة الخطرين ، مقارنة بالجامعات الأخرى . ومردّ ذلك وجود عدد من الأساتذة الناشطين من ذوي الجذور العربية في قسم الثقافات واللغات الشرق أوسطية والآسيوية [59] التابع للجامعة . أما أساتذة الجامعات الأخرى ، فيرى هوروفيتس مصدر خطورتهم على أمريكا في دعواتهم لمناصرة الفلسطينيين و للسلام العادل أونبذ الحروب أومعاداتهم للعولمة ، وكما تشير إلى ذلك النماذج التالية :

- بتّينا أبثيكر من جامعة كاليفورنيا ، سانتا كروز : لدعمها الإرهابيين الفلسطينيين ووصفهم بالنشطاء المعادين للإحتلال ...

---

[57] **" Dossiers dropped from Web Blacklist " , San Francisco Chronicle , 3 Oct. , 2002**

[58] **"The Professors : The 101 Most Dangerous Academics in America " , David Horowitz , 2006**

[59] **Department of Middle East and Asian Languages and Cultures (MEALC)**

- ديفيد باراش من جامعة واشنطن : لقناعته بأن الأرهاب ما هو إلا الشكل المعاصر لما كان معروفاً باسم حرب العصابات ، والتي تعود إلى حقبة الكفاح ضد الاستعمار والإمبريالية بهدف التحرر الوطني في القرون الماضية ضد الأمبراطورية البريطانية والفرنسية ...

- مارك إنسالاكو من جامعة دايتون : لقوله في أحداث الحادي عشر من سبتمبر / أيلول ، أودَ من طلابي أن يفهموا سياق المواقف التي أدَت إلى الاعتداء . وإذا ما فهم الطلاب التعقيدات المحيطة به ، فلربما سيتفادون الفكرة العامة التي تقول إن جميع المسلمين أو العرب إرهابيون .

- جورج فولفة من جامعة بالّ ستيت : لانتقاداته العنيفة لإسرائيل .

- أمينة بيفيرلي ماك كلاود من جامعة دو بول : لكونها عضوة في جماعة " أمَة الإسلام "

- إليزابيث برومفيل من جامعة نورثويسترن : لِحثّها زملاءها وطلابها على معاداة الحروب و تطوير أسلحة الدمار الشامل وتجربتها على البشر من دون علمهم أو موافقتهم .

- كارولين هيجنز من معهد إرلهام : لتدريسها أسس السلام والعدالة الإجتماعية

- جوان كول من جامعة ميتشيغان : لآرائه الغريبة المتعلقة بالصراع العربي – الإسرائيلي ، وتسميته إسرائيل بالدولة الفاشية .

وكما حظيت لائحة دانييل بايبس بالاستهجان في الأوساط الأكاديمية ، فقد تعرّض كتاب هوروفيتس إلى ردود فعل عنيفة من قِبل بعض الجمعيات والاتحادات الأكاديمية وغير الأكاديمية . فتحالف " *التبادل الحرّ في الحُرُم الجامعية* " (المكوّن من أكثر من عشرين منظمة وفي مقدمتها *تآلف أساتذة الجامعات الأمريكية وأتحاد الحريات المدنية وأتحاد المعلمين الأمريكيين*) أصدر دراسة شاملة ، يردّ فيها على الكتاب المذكور [60] وخلص فيها إلى النتيجة التالية :

" يتّسم كتاب هوروفيتس بعدم الدقة والتحريف والتلاعب بالحقائق .. والتصوير المشوّه لآراء الأساتذة ، والادعاءات الفضفاضة التي لا تدعمها الوقائع ، والحذف الانتقائي للمعلومات التي لا تتطابق مع الحجج ... وفي رأينا إن أسلوب وشكل الكتاب يوحي بشدة على أنه لائحة سوداء . ورغم أن (هوروفيتس) لايطالب بطرد (الأساتذة) من الجامعات ، إلا أن وضع أسمائهم كاملة وأماكن عملهم .. يشكل جزءاً من حملة إعلامية جيدة الدعاية والتمويل .. "

ورغم تفادي هذه الدراسة ، بشكل دبلوماسي ، تسمية اليهود بالوقوف وراء نشر الكتاب ولائحته السوداء ، إلا أن الإشارة بأن الكتاب ما هو إلا جزء من حملة جيدة الدعاية الإعلامية والتمويل ، هو اتهام واضح يفهمه القائمون على اللوبي الجامعي .

<u>التدخّل في التشريعات والقوانين الجامعية</u>

[60] **" <u>Facts Counts</u> " , Free Exchange on Campus , May, 2006**

لقد سعى اللوبي اليهودي منذ حوالي قرن مضى إلى الضغط على المُشرّعين لتعديل القوانين والتشريعات التي يُصدرها الكونغرس أو المؤسسات التشريعية ، بما يخدم مصالح اليهود السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية في الولايات المتحدة . وقد أوكلت مهمة الضغط إلى المنظمات المُتنفذة ، مثل " *لجنة اليهود الأمريكيين* " و " *التحالف ضد التشهير* " و "*لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (إيباك)* " وغيرها . فقد تمّ ، على سبيل المثال ، تأسيس *لجنة اليهود الأمريكيين* في العام 1906 بهدف مراقبة التشريعات وتقديم الإلتماسات والمعلومات إلى المشرّعين ، وحتى إرسال التهديدات السياسية إلى المسؤولين في الحكومات الأمريكية [61] . ولعل من بين أوائل التشريعات والقوانين التي سعى اللوبي لتعديلها وإعاقتها تلك المتعلقة بالهجرة إلى الولايات المتحدة . ففي مطلع القرن العشرين وخلال السنوات طويلة التي كان فيها الكونغرس الأمريكي بمجلسيه يناقش مسألة الهجرة الوافدة إلى امريكا ، كان المُشرعون اليهود في مقدمة العاملين على تعديل قوانين الهجرة وعدم تقييدها وبخاصة أمام إخوانهم في الدين القادمين من روسيا ودول أوروبا الشرقية . ويذكر الأكاديمي كيفين ماك دونالد في دراسة شاملة حول هذا الموضوع [62] ، كيف لعب اليهود دوراً قيادياً في سياسة تعددية مصادر الهجرة إلى أمريكا وزيادة التنوع الإثني والقومي والديني للمهاجرين لمنع نمو العداء للسامية فيه ، وبالتالي إماعة التركيبة السكانية للمجتمع الأمريكي .

وبشكل عام ، تلجأ المنظمات إلى تقديم اقتراحات لتعديلات تشريعية ، عن طريق النواب اليهود في الكونغرس، ومن ثمّ تدعم هذه المقترحات بعشرات التظاهرات الصاخبة في كبريات المدن الأمريكية . ويستشهد ماك دونالد على ذلك بنصيحة أحد كبار الناشطين ليهود أمريكا : " *إذا ما أثرتم العديد من الإعتراضات والضجيج .. حول هذه التشريع* (الهجرة) *فسوف تحبطونه .. عليكم بمحاربته .. فمعظم الحصون مصنوعة من الورق المقوى .. وإذا ما ضغطتم عليها فستتهاوى* " .

ولعل أكثر ما يزعج المنظمات اليهودية في الدستور الأمريكي تلك النصوص التي تمنح المواطنين حرية التعبيروالكتابة والتفكير (ما يعرف بالتعديل الأول لوثيقة الحقوق) [63] . فمن خلال هذه البوابة يمكن لأي أمريكي أن ينتقد اليهود أو الصهيونية أوإسرائيل ، وهو أمرٌ لا يمكن التسامح به . ومنذ عدة عقود بدأت منظمة *التحالف ضد*

---

61 **Wikepidea Free Encyclopedia " Louis B. Marshal "**

62 **"Jewish Involvment in Shaping American Immigration Policy" , Kevin MacDonald , Population and Environment , 1998**

63 **(The First Amendment of the Bill of Rights)**

التشهير تسوّق مصطلح " جرائم الكراهية " [64] . وقامت بصياغة نموذج تشريعي له في العام 1981 وتمّ اعتماده كأساس لقانون يجري تطبيقه في العديد من الولايات الأمريكية .

و لقد أثارت مقترحات منظمة *التحالف* وضغوطها المستمرة لتعميم مثل هذه التشريعات وغيرها حفيظة ومخاوف عدد من المثقفين والأكاديميين والكتّاب باعتبارها تتعارض مع أهم دعامات الحرية التي يتباهى بها الأمريكيون . إذ تشير منظمة التحالف بشكل خفي ومشبوه إلى ضرورة تغليظ العقوبات على " الكلمات القتالية " و " خطابات الكراهية " إذا كانت مرتبطة بالعنصرية أو الدين أو النسب . وجلّ ما يخشاه المثقفون الأمريكيون ، أن يتم تجريم حرية الفكر والتعبير والكتابة في الولايات المتحدة على غرار توصيات لجنة " كوهين " التي شرّعها البرلمان الكندي [65] ، والتي قال عنها الأكاديمي والمؤرخ الكندي كنيث هيلبورن :

" إن السيناريو الأكثر احتمالاً هو أن مجموعات الضغط التي تحرّض على قانون الكراهية ليكون أكثر قساوة ، ستستخدمه كأسلوب للإكراه والتهديد .. ويبقى السؤال عن مدى الأمان الذي يشعر به حتى الأكاديمي والباحث الحقيقي ، إذا ما كانت النتائج التي يتوصل إليها لا تروق لقطاعات معينة من المجتمع " [66] .

وإذا ما أفلحت جهود المنظمات في تحويل خطابات الكراهية إلى جرائم يعاقب عليها ، فليس من المُستبعد أن يسمع العالم خبر تقديم الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر للمحاكمة ، بسبب كتابه المثير لأعصاب هذه المنظمات " فلسطين سلام لا عنصرية " . ففي هذه الحالة ، لن يكتفي اللوبي اليهودي التشهير بالرئيس الأمريكي الأسبق أو وصفه بابن الزنا الشيوعي والمعادي للسامية ، أو الطلب إلى يهود أمريكا أن يبصقوا في وجه من كان يوماً رئيساً لدولتهم [67] .

وإلى جانب التشريعات العامة المرتبطة بالعداء للسامية وجرائم الكراهية ، يدخل العداء لإسرائيل شيئاً فشيئاً في صلب التشريعات الأمريكية المتعلقة بالجامعات . فهناك مشروع قانون جديد يحمل اسم " *الدراسات الدولية في التعليم العالي لعام 2003* " (المشروع H.R. 3307 وفق تسميات مجلس النواب الأمريكي) . ومن بين الفقرات التي يدعو إليها مشروع القانون هذا ، تشكيل لجنة استشارية مستقلة للتعليم العالي من مهامها "مراقبة " تعددية وجهات النظر المتعلقة بالدراسات الدولية ، وحصر المنح والمساعدات المالية في المعاهد والبرامج البحثية في الجامعات التي

---

64 **(Hate Crimes)**

65 **تنص المواد 319-320 (المتعلقة بالتحريض على الكراهية) في القانون الجنائي الكندي على المعاقبة بالسجن لكل شخص يدلي بتصريحات شفهية أو كتابية أو هاتفية أو مسجلة أو حتى بالإشارة أو الرمز ضد أي مجموعة من العامة متميزة عن غيرها لوناً أوعرقاً أو ديناً أو نسباً أو شذوذاً جنسياً .**

66 **"Anti-Hate Legislation : A threat to Academic Freedom ", Kenneth Hilborn, SAFS Newsletter , No.23,1999**

67 **Talk Radio Network's The Savage Nation . Michael Savage , May 16 ,2006**

تخدم " المصالح الوطنية للولايات المتحدة " من وجهات نظر مختلفة . ولفهم أهداف مشروع القانون هذا والجهات التي تقف وراءه ، يبيّن الصحافي الإسرائيلي أوري نير في مجلة فورورد [68] حقيقة الأمر :

" .. إن المنظمات اليهودية تسعى للضغط على مجلس الشيوخ لإقرار مشروع قانون يسمح بتضييق الرقابة الفيدرالية على برامج " الدراسات الشرق أوسطية " في الجامعات ، بعد أن تمت الموافقة عليه في مجلس النواب بأغلبية كبيرة . فبعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 زادت وزارة التعليم عدد الأقسام الجامعية التي تعنى بالدراسات الشرق أوسطية التي تتلقى المساعدات المالية الحكومية . وتدّعي المنظمات اليهودية التي شاركت في صياغة مشروع قانون الرقابة بأن هذه الأقسام تفتقر للموضوعية . فهي مناصرة للفلسطينيين والعرب والعالم الإسلامي ومعادية لإسرائيل ولأمريكا والغرب عموماً ومع ذلك تحظى بالدعم المالي الفيدرالي والذي غالباً ما يساء استخدامه ... " .

كما ندّد الصحافي اليهودي ستانلي كورتس بالتحيّز الفاضح في برامج الدراسات الدولية . فالمشكلة الحقيقية تكمن في أن القائمين على هذه البرامج قد فشلوا في حماية الحريات الأكاديمية للطلاب وللأساتذة الذين يدعمون السياسة الخارجية الأمريكية .. فالمقدمة المنطقية للحرية الأكاديمية تقوم على وجود تنوع للأفكار . ولكن عندما يتعلق الأمر بالدراسات الشرق أوسطية فلا يوجد مثل هذا التنوع في الحُرُم الجامعية ؛ هناك فقط احتكار . وبرّر الصحافي دفاع المنظمات اليهودية عن مشروع القانون المقترح بوضوح لا يقبل التأويل :

" إن أتباع إدوارد سعيد (المفكّر الفلسطيني) *متواجدون في كل مكان . أما القلّة المتبقية من أتباع برنارد لويس* (المؤرّخ اليهودي) *فهم بشكل أو بآخر خارج الجامعات . هذا هو الوضع الذي يسعى الكونغرس* (عبر إقرار مشروع القانون 3077) *لتصحيحه "* [69] .

وبالتالي ، فإن عملية إصلاح الحُرُم الجامعية يجب أن تبدأ بالرقابة على الدراسات الشرق أوسطية القائمة فيها و تجفيف منابع المساعدات المالية والمنح الحكومية لهذه الدراسات ، بسبب مناصرتها للفلسطينيين ومعاداتها لإسرائيل أولاً ولأمريكا ثانياً .

حملة أخرى أقدم عليها اللوبي الجامعي بهدف التدخل المباشر في الشؤون الجامعية وسياساتها التعليمية ومناهجها بل وفي تعيينات الأساتذة وغيرها ، ويقودها مرة أخرى ، ديفيد هوروفيتس ، مؤسس *منظمة طلاب من أجل الحرية الأكاديمية* .

ففي عام 2003 ، تقدَم هوروفيتس إلى المُشرّعين وإلى مجلس النواب الأمريكي للمصادقة على " وثيقة الحقوق الأكاديمية " [70] التي صاغتها منظمته . و تدعو الوثيقة إلى انهاء التعسّف السياسي في الحُرم الجامعية ، وكبح

---

[68] **" Group Back Bill To Monitor Universities " , Ori Nir, Forward, March 12, 2004**

[69] **"Reforming the Campus" , Stanley Kurtz , National Review , 14 Oct., 2003**

جماح الأساتذة المتطرفين واليساريين المهيمنين على مقدراتها والمُتعدّين على الحريات الأكاديمية للطلبة من ذوي الأيديولوجيات المحافظة . وتشدّد الوثيقة على ضرورة توجّيه الجامعات لفرض الحيادية وبخاصة عند تعيين أعضاء هيئة التدريس آخذة بعين الاعتبار دعم تعدَدية المنهجية و وجهات النظر المختلفة في المسائل المُتنازع عليها . كما تدعو إلى منع أعضاء الهيئة التدريسية من استخدام مقرراتهم لتلقين أفكار سياسية أو أيديولوجية أو دينية .

وكما واجه الأكاديميون الأمريكيون كتاب هوروفيتس الآنف الذكر بالرفض والاستهجان ، فإن وثيقته الجديدة لاقت مصيراً مماثلاً من قطاعات متعدَدة . فقد أصدر *تآلف أساتذة الجامعات الأمريكية* بياناً بعنوان " *وثيقة الحقوق الأكاديمية ، الرقابة الحكومية على التدريس والتعلّم* " [71] ، يندّد بشدة بوثيقة هوروفيتس باعتبارها غير مناسبة وخطرة و تنتهك حرمة الحرية الأكاديمية رغم الإيهام بحمايتها . و يبيّن أنها تهدَد بفرض رقابة إدارية وقانونية على أعضاء هيئة التدريس و تجرّد الأساتذة من صلاحياتهم التعليمية . كما يشير إلى أن جميع الولايات الأمريكية لم توافق على فرض رقابة حكومية فديرالية أو محلية على المناهج والتعليم ، أو التدخل في تعيين أو ترفيع الأساتذة سواءً في مؤسسات التعليم العالي العامة أو الخاصة . ورغم ذلك ، لا يزال اللوبي الجامعي يبذل مساع حثيثة لفرض تشريعات مقاربة لوثيقة الحقوق الأكاديمية و تحت مسميات تمويهية أوعناوين جديدة .

هذا بالنسبة لمقترحات الرقابة على الجامعات وعلى أساتذتها ؛ ولكن ماذا عن الرقابة على الإنترنت ، التي قال عنها فرانك لونتس إنها توجّه النخب الطلابية لمعاداة الصهيونية وإسرائيل ؟ . هنا أيضاً ، تقوم المنظمات اليهودية بحملة مكثّفة للحدّ من مخاطرها على عقول وتوجهات الجيل الأمريكي الجديد . فالمُفسدون الحقيقيون للإنترنت هم النازيون الجُدد والأكاديميون المُشككون بالمحرقة وعلى رأسهم الإسلاميون الجهاديون . فالإنترنت ، كما يشير أحد كتّابهم ، أصبح " ساحة معركة " و " ميداناً للصراع " يحاربوننا فيها وعلينا منعهم من الولوج إليه [72] .

وكما في الحُرُم الجامعية ، تتلخص أزمة المنظمات اليهودية مع الإنترنت في حرية الكتابة والتعبير المتاحة للجميع من دون استثناء ، وهذا ما يقلّص نفوذها المُهيمن على الإعلام الغربي بشكل كبير . أما من يقف وراء هذه الحرية المطلقة للإنترنت فيعزوها الكاتب الإسرائيلي زيف هيلمان [73] إلى :

---

[70] **(The Academic Bill of Rights (ABOR))**

[71] **"The Academic Bill of Rights , Government Oversight of Teaching and Lerning ", 2003, American Association of University Professors**

[72] **"Terror on the Internet " , Gabriel Weimann , 2004 , US Institute of Peace**

[73] **"http:// Web of Hatred" , Ziv Hellmann" , 2008 , Jerusalem Post**

" ... الأكاديميين الأمريكيين الذين وضعوا البنى التحتية الأولى للإنترنت ، والذين كانوا متأثرين بالجو اليساري الذي كان سائداً في الحُرُم الجامعية في أواخر الستينات والسبعينات من القرن الماضي . وقد وجدوا في الإنترنت أداة ديمقراطية تسمح لجميع الآراء بالتعبير الحرَ ، خارج هيمنة الرقابات الرسمية أو القيود الذاتية لوسائل النشر " .

ورغم أن المنظمات اليهودية هي الأكثر استخداماً لتقنيات الإنترنت في بثّ الكراهية والحقد ، فهي تسعى منذ مدة إلى فرض هيمنتها عليها والعمل على إصدار التشريعات الدولية لفرض رقابة صارمة على مناوئيها .

فقد أسس مركز سايمون فيزنثال برنامج " *الإرهاب والكراهية الرقمية* " لمراقبة المواقع الإلكترونية للمتطرفين والإرهابيين ، ويدّعي أنه أحصى ما يقرب من 8000 موقع منها مع نهاية العام 2008 [74] . ويدعو المركز مستخدمي الإنترنت إلى المساعدة على الكشف عن المواقع الأخرى ، كما يحثّ الحكومات والمنظمات والمجموعات على إصدار مواقع متعددة اللغات لمجابهة المجموعات المتطرفة وما يسميه " الجهاد الإلكتروني " وغيرها .

أما منظمة *التحالف ضد التشهير* ، فيبدو أنها تعمل في أكثر من اتجاه في هذا المجال . فقد أسست " *وحدة لمراقبة الإنترنت* " ، المُكوّنة من مجموعة متفرَغة من الباحثين والفنيين ، للتجسس على جميع المواقع والمدوّنات الإلكترونية . و تتعاون هذه الوحدة مع قوى الأمن الأمريكية وشركات الاتصالات ومزودي خدمات الإنترنت لحصر المواقع المعادية للسامية وإسرائيل والعمل على منعها . و قامت ، لهذه الغاية ، بتطوير برامجيات خاصة (فلتر الكراهية) لحجب هذه المواقع . كما تسعى المنظمة إلى حشد الجهود العالمية ، وبخاصة الأوروبية ، لتضييق الخناق على مزودي خدمات الإنترنت والمستخدمين . ففي عام 2002 أنشأت مكتباً دولياً في أمستردام " الشبكة الدولية ضد الكراهية في الفضاء السيبيري " . ومن خلال هذا المكتب ومؤتمراته السنوية يجري الإعداد لوضع تشريعات وقوانين جديدة لتجريم خطابات الكراهية في الشبكات الحاسوبية (بروتوكول إتفاقية جرائم الفضاء السيبيري) [75] .

وإلى جانب هذه الجهود ، قامت منظمة *التحالف ضد التشهير* بالضغط على شركات الخدمات الحاسوبية ومحرَكات البحث (ياهو و غوغل) أو الموسوعات الإلكترونية (ويكيبيديا) لتعديل برامجها . والمثال التالي يعطي فكرة واضحة عن مدى تمادي هذه المنظمة في هذا المجال . لو حاول القارىء البحث عن كلمة " يهودي أو يهود " في مبْحَث " غوغل " على الإنترنت (لتحديد المواقع الإلكترونية ، التي تشرح معنى هذه الكلمة أو تشير إلى اليهود في مقالات ودراسات دينية أو اجتماعية أوغيرها) فسيجد الملاحظة التالية تتصدر صفحات نتائج بحثه : " *نتائج هذا*

---

[74] **The Simon Wiesenthal Centre , Digital Terrorism and Hate Project , iReport 2008**

[75] **International Network Against CyberHate (INACH) , Legislation : Additional Protocol to the Convention on Cybercrime**

البحث عدوانية . ونحن (في شركة غوغل) *منزعجون أيضاً من هذه النتائج المبيّنة* " [76] . وفي المقابل ، لو أعاد البحث عن كلمة " مسيحي أو مسلم أو بوذي أو هندوسي أو مُلحد أو أي تعريف آخر ، فلن يجد إي ملاحظة ممائلة ! . والسؤال البديهي هنا ، ما الذي يجعل اليهود لدى غوغل " *شعب الإنترنت المختار* " ؟ . وفي الحقيقة ، تأتي ملاحظة غوغل الآنفة الذكر ، بعد تحذير منظمة *التحالف ضد التشهير* من وجود مواقع معادية للسامية تتصدّر نتائج البحث . و تعهّدت غوغل للمنظمة بالعمل مستقبلاً على تطوير برمجياتها وخوارزمياتها بهدف التعرّف على المواقع المُسيئة لليهود أو المُعادية للسامية [77] .

ومما لاشك فيه ، أنه يجب التوقف طويلاً عند الأسلوب الذي اتبعته " *لجنة دقة التقارير حول الشرق الأوسط في أمريكا* " (أي منظمة كاميرا) مع موسوعة " وايكيبيديا " الإلكترونية المعروفة . فمن خلال حرب سرية ، قامت المنظمة بإعداد مجموعة من قراصنة الإنترنت المتطوعين ، بهدف التسلل إلى الموسوعة و إعادة كتابة التاريخ الفلسطيني وتمريره خفية عن أعين محرريها المُعتمدين . وكما اعترف بذلك أحد القائمين على هذه المجموعة " *إننا ذاهبون إلى الحرب بعد أن أسسنا جيشاً وقمنا بتسليحه وتدريبه* ! " [78] . وعندما اكتشفت إدارة الموسوعة هذا التلاعب ، طردت ، في العام 2008 ، خمسة محررين من المشاركين في هذه الفضيحة .

وفي الواقع ، فليست موسوعة وايكيبيديا وحدها التي تتعرض للتلاعب والتزوير من قبل قراصنة المنظمات اليهودية . فقد برزت منذ مدة منظمة يهودية مجهولة النسب ، أطلقت على نفسها اسم " جيش الدفاع اليهودي للإنترنت " . ويبدو أنها متخصصة في قرصنة مواقع " فيس بوك " و " يو تيوب " ذات الشعبية الواسعة . و تعمل على أخذ زمام المبادرة بشكل مباشر لطمس واجتثاث المعادين للسامية ولإسرائيل من الإنترنت وإجبارأصحاب القرار في هذه المواقع على القيام بذلك تلقائياً . وتفاخر المنظمة بأنها تقوم على التوالي باستئصال أعضاء تلك المجموعات الشريرة والمعادية من موقع فيس بوك [79] .

- <u>اغتيال السمعة العلمية و إقصاء الأكاديميين</u>

---

[76] **(Offensive Search Results . We are disturbed about these results as well)**

[77] **ADL Press Release , 22 April, 2004**

[78] **" <u>War of the virtual Wiki – World</u> " , Alex Beam , The Boston Globe , 3 May , 2008**

[79] **" Jewish Internet Defence Force seizes control of Anti-Israel Facebook group " , Stephanie Rubenstein , The Jerusalem Post , 29 July , 2008**

يعتبر تكذيب وتسفيه آراء الأكاديميين والمفكّرين والكتّاب المعارضين أو الناشطين ، إحدى الوسائل المتّبعة لدى المنظمات اليهودية وأتباعها . ويأتي في مقدمة هؤلاء ، المؤرخون والآثاريون . ويبدو أن توزّع اليهود بين الشعوب وفي بلدان القارات الخمس ، وولعهم اللامتناهي في كتابة تاريخهم الخاص والأحداث التي مرَت بهم هنا وهناك ، تعني بالنسبة لهم كتابة تاريخ العالم أجمع وأحداثه من منظورهم ووفق رؤية مؤرخيهم . وبالتالي ، فإن أي دراسة أو تحليل لمؤرخ أو لأكاديمي لا تتفق مع دراسات أواستنتاجات المؤرخين اليهود ، هي مَحْض تزوير واختلاق أو جهل . من هذا المنطلق ، نفهم بداية تلك الملاحقة الشرسة والعدوانية على الأكاديميين العاملين في مجال تنقيح وإعادة كتابة التاريخ [80] ، من أمثال روجر غارودي وديفيد أيرفينغ وبول راسينيه وغيرهم .

ولا يقف الأمر عند المؤرخين فحسب ، بل يمتد التسفيه والتحقير أيضاً في التعامل مع الأكاديميين الآخرين ، ممن يختلفون في الرأي مع الاعتذاريين اليهود . فهؤلاء ، كما يدعي ديفيد هوروفيتس ، لا يكتبون كتباً أكاديمية بل يتم أعتماد منشوراتهم في الجامعات عن طريق الاحتيال . وهم ببساطة حيوانات سياسية [81] .

فعندما نشر الأستاذان ميرسهايمر و والت دراستهما في العلوم السياسية "*اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة* " [82] ، أثارت الشواهد التي أوردها الأكاديميان عن الولاء المزدوج لليهود الأمريكيين موجة من الغضب وردود الفعل العنيفة من قبل اللوبي . وكان أعنفها رد ألان ديرشوفيتس أستاذ القانون في جامعة هارفرد [83] . فالأستاذان ، كما يرى ديرشوفيتس ، كاذبان ومُنحازان . و دراستهما مليئة بالمغالطات ، تفتقر إلى الأصالة والإبداع وينقصها التوازن . وهي غير علمية في مقاربتها ، مشوّهة بالأخطاء وتعتمد بشكل كبير على مراجع مُنحازة متطرفة ومعادية لأمريكا وللسامية . مراجعهما يجدها المرء في مواقع الانترنت العائدة للمتطرفين في أقصى اليمين أو اليسار السياسي أو النازيين الجدد وحتى للمنظمات الإرهابية أو المنشورة في الصحافة العربية والإسلامية . والحجج التي يقدمانها ، ما هي إلا تغيير معاصر لمواضيع قديمة كتلك التي تم تزويرها في العهد القيصري الروسي " بروتوكولات حكماء صهيون " ، ونُشِرت في أدبيات النازيين وفي أمريكا في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي أو الكتيبات الدعائية في الاتحاد السوفياتي .

ولا شك أن هذا الردّ الفجّ الذي قدَمه لنا أكاديمي هارفرد ديرشوفيتس لا يحتاج إلى كثير من التعليق . ما هو مثير للإنتباه ، انتقاده للمراجع " المُنحازة والمُتطرفة " التي استند إليها الأستاذان في دراستهما . أما المراجع اليهودية والإسرائيلية التي أستند إليها هو في تفنيد الدراسة ، فهي غير منحازة ولامتطرفة . فالمصداقية والحقيقة لا تتوافر

---

[80] **(Revisionists)**

[81] **CBN News.com , Interview with David Horowitz , 2009**

[82] **Ref. 51**

[83] **" Debunking the Newest – and Oldest – Jewish Conspiracy " , 2006 , Alan Dershowitz**

إلا لدى الكتّاب والصحافيين من المتشدّدين اليهود في هاآرتس والجيروزالم بوست والنيويورك صن وفورورد وغيرها . بل و يذهب ديرشوفيتس أبعد من ذلك ، بتبنيه رأي محرّر مغمور في دراسة الأستاذين بأنها " *أقرب لعمل الهواة وتبدو أحياناً كوميدية مضحكة .. إن دراسة كهذه يقدّمها طالب جامعي مبتدىء لا بد أن تقابل بالسخرية والازدراء*" .

وفي مثال آخر على التسفيه والتحقير اليهودي لأي طرح علمي يختلف عن طروحات كتّابهم ومؤرخيهم ، نجده في واقعة ناديا أبو الحاج ، عند ترشّحها لمنصب أستاذة علم الأنثروبولوجيا في معهد برنارد / جامعة كولومبيا . فكتابها " *حقائق على الأرض* " [84] ، الذي يفنّد الطرائق الآثارية والأنثروبولوجية المفبركة في إسرائيل لإثبات حق اليهود في الأرض الفلسطينية ، أثار انتقادات أكاديمية في الأوساط اليهودية . فأبو الحاج لا تعتمد مصادر عبرانية في كتابها و لا تعرف لغة الحضارة " اليهودية " التي تكتب عنها . والأخطاء الواضحة لديها تبيّن المستوى المتدني لثقافتها وجهلها في التاريخ وعلوم الآثار . بل إن أي طفلٍ يمكنه الإشارة لتلك الأخطاء ومعظم طلاب الثانويات في إسرائيل يفهمون الطرائق الآثارية أفضل منها [85] .

وقد يهون الأمر لو اقتصر الأمر على التشهير بالأكاديميين المعارضين أو تسْفيه آرائهم العلمية . فالأسلوب الأنجع لدى المنظمات اليهودية هو تضييق الخِناق على خصومهم ، ومنعهم من الكتابة أو المشاركة في الندوات العامة أو ملاحقتهم قضائياً وصولاً إلى السعي لقطع مصادر رزقهم كعدم تعيينهم في الجامعات أو ترفيعهم أكاديمياً أو طرد المعيّنين منهم . وفي الواقع ، لا ينطبق هذا الوضع على الأكاديميين فحسب بل على جميع الخصوم من رجال السياسة والدين والإعلام ومناصري الحقوق المدنية ومناهضي الحروب وغيرهم . وبإمكان المتابع أن يجد عشرات الشواهد التاريخية والمعاصرة المعروفة التي تؤكد ذلك . فقد خسر السناتور الأمريكي بول فيندلي مقعده عن إلينوي في العام 1982 بسبب مواقفه المعلنة من هيمنة اللوبي " الإسرائيلي " على الكونغرس والبيت الأبيض ، أو كما أسماهم " بالغوريلا السمينة في واشنطن " . ولم تَسْلم مفوّضة لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة ، الكندية لويز آربور ومقرّر اللجنة جون دوغارد من النقد الجارح والطلبات المتكرّرة لطردهما من الأمم المتحدة بسبب تقاريرهما حول انتهاكات حقوق الفلسطينيين تحت الاحتلال ، أوإمكانية إجراء تحقيق بجرائم ضد الإنسانية خلال الحرب الأخيرة على لبنان . ولعل أسوأ الضغوطات الوقحة التي تمارسها المنظمات اليهودية في أيامنا هذه على الفاتيكان والحِبر الأعظم . فبعد أن قرّر البابا ردّ الاعتبار للأسقف البريطاني ريتشارد ويليامسون بعد حرمانه كنسياً لمدة عشرين عاماً ، قامت المنظمات اليهودية بحملة شرسة ضد قرارالبابا ، بسبب تشكيك الأسقف بأعداد اليهود الذين قتلوا في

---

[84] **" Facts on the Ground " , Nadia Abu El Haj , 2001**

[85] **Online Petition : " Deny Nadia Abu El Haj Tenure ", Paula Stern , Barnard Alum. , 2007**

الهولوكوست . وعلى التوازي مع الحملة على ويليامسون ، أعلن السفير تشارلز فريمان رفض ترشيحه لمنصب كبير في الأمن القومي الأمريكي ، بسبب تشويه ما أسماه " باللوبي الإسرائيلي " لسمعته الوظيفية والمهنية [86] .

أما بالنسبة للأكاديميين المُعارضين ، الذين تمّت ملاحقتهم من المنظمات اليهودية في العقود القليلة الماضية ، فهناك سجلّ مؤلم لما تعرَض له عدد منهم من مضايقات وظيفية ومهنية . وقد عبّر عن ذلك مؤخراً و بدون مواربة رئيس جامعة كولومبيا ، في خطاب له حول الحرية الأكاديمية في الولايات المتحدة [87] :

" .. هناك بعض الجماعات من خارج الجامعة وقطاعات من الإعلام أدانت (بعض) أساتذتنا وجامعتنا .. وطالبت بطردهم منها . بل وذهب بعضهم أبعد من ذلك إلى تسمية كولومبيا بحرم الكراهية الجامعي المتخمة بالعداء للسامية .. " .

وإذا كانت ملاحقة الأكاديميين الأمريكيين قد بدأت فعلاً في العام 1945 ، مع الأستاذ كنيكربوكر في معهد سيتي بنيويورك ، فقد تمادت هذه الحملة المنظَّمة لتبلغ أوجها في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر . والأمثلة التالية ماهي إلا غيض من المِحن التي مرّ بها بعض الأكاديميين خلال مسيرتهم الوظيفية والعلمية :

- رفضت جامعة ستانفورد تعيين المؤرخ البريطاني نورمان ديفيز في قسم التاريخ نظراً للعيوب التاريخية في كتبه وآرائه العلمية المتعلقة بأوضاع اليهود في بولندا أثناء الإحتلال الألماني والمحرقة . وقد أثار هذا الموضوع عدد من اساتذة التاريخ والكتّاب اليهود ، وعلى رأسهم لوسي دافيدوفيتش و أبراهام برومبرغ [88]

- تمّ إقصاء الأستاذ ليونارد جيفريز من منصب رئيس قسم دراسات " السود " في معهد سيتي بنيويورك بسبب اتهامه أثرياء اليهود بتمويل حملات العبيد ونشر العبودية في أمريكا ومعاداته للسامية . كما كان يكفي أنطوني مارتين ، الأستاذ في قسم الدراسات الإفريقية بجامعة ويلزلي / ماساتشوستس ، أن يعتمد كتاباً تعليمياً يبيّن هيمنة اليهود على تجارة العبيد في إفريقيا ، لتمنع عنه الجامعة الترقية ، ولتشكِك في أهليته العلمية بل ليوقف قسم التاريخ اعتماد مقرَره التدريسي لديها [89] .

- تعرض آرثر بوتس ، أستاذ الهندسة الكهربائية في جامعة نورثويسترن / شيكاغو ، إلى حملة من المنظمات اليهودية تطالب بطرده من الجامعة بسبب مواقفه من الهولوكوست وكتابه " *خدعة القرن العشرين : وقائع تنفي الإبادة المفترضة لليهود الأوروبيين* " . وقد امتنعت الجامعة حتى الآن الاستجابة لهذه الضغوط ، باعتبار أن آراء بوتس الخاصة لا تطرح في قاعات التدريس [90] . وفي المقابل ، أفلحت جهود المنظمات في طرد أستاذ التاريخ جاك بلَس من منصبه بجامعة فيرلاي ديكينسون \ نيوجرسي بدعوى أنه عضو فاعل في حركة النازيين الجدد [91] .

- أُجبِر مدير معهد اللاعنف في جامعة روشيستر، وحفيد المهاتما غاندي ، الأستاذ آرون غاندي على الاستقالة من منصبه مؤخراً بعد تعليق مُقتضب ، نشره في صحيفة الواشنطن بوست ، تحت عنوان " لا يمكن للهوية اليهودية أن ترتبط بالعنف " [92] .

---

[86] **" Charles Freeman's Statement in Wake of Withdrawal From Intelligence Post " , The Wall Street Journal , 10 March ,2009**

[87] **The Record , Columbia University , 8 April, 2005**

[88] **Stanford University News Service , 5 Sept. ,1991**

[89] **"Schooled in Hate : Anti-Semitism on Campus " , ADL Report , 1997**

[90] **" Extremism in America , Arther Butz " , ADL**

[91] **" Now It Can Be Told " , Jacques Pluss, History News Network , 16 Jan., 2006**

[92] **" Jewish Identity Can't Depend on Violence " , Arun Gandhi, The Wishington Post , 7 Jan. , 2008**

وإضافة إلى هؤلاء وكثيرين غيرهم ، يتعرَض عدد من الأكاديميين الأمريكيين من ذوي الأصول العربية عامة والفلسطينيين خاصة إلى حملات أشدَ شراسة تسعى لإبعادهم عن الجامعات وخنق أصواتهم داخل وخارج الحُرُم الجامعية . وقد شهد ت الأعوام القليلة الماضية عدداً من حالات التعسف تجاه أساتذة مرموقين :

- بسبب تقرير أعدَه الباحث السعودي مظهر حميد ، في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية التابع لجامعة جورج تاون ، حول الأمن العسكري والسياسي لآبار النفط في شبه الجزيرة العربية ، قام المركز بالتكتم والتعتيم على التقرير قبيل مناقشة الكونغرس لصفقة طائرات أواكس للملكة العربية السعودية التي كانت تعارضها إسرائيل ومناصريها بشدة . وفي عام 1982 ، تمّ إنهاء خدمات الباحث في المركز ومن ثمّ جرى إفهامه بضرورة مغادرة واشنطن [93]

- فقد مازن قُمصية منصبه الجامعي كأستاذ لعلوم الجينات في جامعة ييل ، في العام 2004 ، بسبب كتابته الناقدة لسوء معاملة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة [94] .

- طالبت منظمة " *الصهيونيين في أمريكا* " جامعة بريندايز بطرد الأكاديمي الفلسطيني خليل الشِقاقي بدعوى أن هناك دلائل تشير إلى ارتباطاته بمنظمة الجهاد الإسلامي الفلسطينية [95] .

- تعرَض أستاذ السياسات العربية المعاصرة في جامعة كولومبيا ، جوزيف مسعد ، إلى أعنف حملة يهودية تطالب بطرده من الجامعة لاتهامه بمعاداة السامية وإساءته للطلبة الإسرائيليين واليهود ، سواءً عن طريق العرائض أو بطلب من أحد أعضاء الكونغرس اليهود [96 ' 97]

- في العام 2005 ، مَنَع مستشار المجلس التعليمي لمدينة نيويورك ، مدير معهد الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا الأستاذ رشيد الخالدي من التدريس في أي دورات تأهيلية لمعلمي نيويورك ، بسبب مواقفه المعادية لإسرائيل ودفاعه عن حق الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال [98] .

- فشلت معركة المنظمات اليهودية وعرائض الاحتجاج من مناصريها في منع تعيين أستاذة الأنثروبولوجيا في معهد برنارد بسبب كتابها " حقائق على الأرض " ، الذي سبق الإشارة إليه [99] .

وإلى جانب هذه الوقائع ، ذهبت بعض الحملات الأكثر عدوانية إلى اتهام بعض الأكاديميين العرب بالإرهاب . وتبدو هذه الحملات واضحة في مقالات دانييل بايبس ذات العناوين التحريضية (أساتذة إرهابيون ، الأستاذ الذي يساعد الإرهابيين) [100] أو لدى ديفيد هوروفيتس (الإرهابي إدوارد سعيد) [101] أو (الجهاد في الأكاديمية) في كتاب ستيف إمرسون الذي يحمل عنوان : " الجهاد الأمريكي : الإرهابيون يعيشون بيننا " [102] .

---

93 " **They Dare to Speak Out** " , Paul Findley , 1989

94 " **Witch hunt** " George McLeod , Bangkok Post , 27.5.2007

95 " **Group Pressures Brandeis University to Remove Scholar** " , G. Bradley , AAUP , 2006

96 " **Dismiss Professor Joseph Massad** " , Students for Academic Freedom , Petitiononline,

97 " **Rep. Weiner Asks Columbia to to Fire Anti-Israel Prof** " , New York Sun , 22 Oct. , 2004

98 " **Some Limits on Speech in Classrooms** " , J. Purnick , New York Times , 28 Feb. , 2005

99 " **After Battle, Bernard Professor Given Tenure** " , New York Sun , 2 Nov. , 2007

100 "**Terrorist Profs** " , NY Post , 2003 - **The Terror- Aiding Prof**, NY Post , 2002 , Daniel Pipes

101 " **Horowitz Notepad : Eduard Said, Terrorist** " , FrontPageMagazine , Nov. 19 , 2001

102 Chapt.6 : (**Jihad in the Academy**) , " **American Jihad : The Terrorists living Amongst Us** " , Steven Emerson , 2003

وقد أدت هذه الكتابات المُخزية والتحركات المحمومة للمنظمات اليهودية إلى اعتقال وسجن البعض منهم . ولعل أبرز مثالٍ على ذلك مِحنة سامي العريان ، أستاذ علم الكمبيوتر في جامعة جنوب فلوريدا وعدد آخر من الأكاديميين . وتمثّل واقعة الأستاذ الفلسطيني اللاجىء العريان قمة التراجيديا الأكاديمية ليس في الولايات المتحدة وحدها ، بل في العالم أجمع . بدأت فصول هذه التراجيديا في العام 1995 ، واستعرت بعد هجوم 11 أيلول \ سبتمبر 2001 ، ولم يُسدل الستار عن آخر فصل فيها إلى يومنا هذا . ولقد أفلحت جهود نشطاء الانتقام والشاندا الآنفي الذكر ، مع عدد من وسائل الإعلام المعروفة التوجهات مثل فوكس نيوز ، إن بي سي ، وصحيفة تامبا تريبيون وغيرها ، في طرد الإستاذ العريان من منصبه الجامعي أولاً ومن ثمّ تقديمه للمحاكمة . وقد حُكِم عليه بالسجن لمدة 57 شهراً بتهمة ارتباطه بمنظمة الجهاد الإسلامي الفلسطينية [103] التي تعتبر إرهابية في إسرائيل (ولاحقاً في الولايات المتحدة !) . ورغم أن الإدعاء العام قد أقرّ بأن الأستاذ العريان لم يرتكب أي عمل من أعمال العنف بشكل مباشر أو غير مباشر [104] .

<u>الاتهام بالعداء لأمريكا</u>

لقد تابع الأكاديميون بل وعامة المثقفين الأمريكيين طبيعة العلاقة التي تربط اليهود الأمريكيين بإسرائيل منذ نشأتها في العام 1948 ، و لاحظوا بكثير من القلق تغليبهم مصالح الدولة اليهودية على المصالح الوطنية . كما لمسوا من خلال الإحصائيات ، كيف أن 86 % من يهود أمريكا يباهون اليوم أكثر من أي وقت مضى بروابطهم الوثيقة مع إسرائيل [105] . إذ تشير كتابات وتعليقات عشرات المنظمات اليهودية إلى مدى التعاطف مع تل أبيب وأورشليم أكثر من الاهتمام بواشنطن أو نيو يورك . ففي كُتيبٍ تعليمي صدر مؤخراً بعنوان " *قلب واحد وبيتان : إسرائيل والهوية المقدّسة لليهود الأمريكيين* " ، يسأل الحاخام ديفيد نيلسون إخوته في الدين إذا كانوا يعتبرون أمريكا أو إسرائيل موطناً لهم ، وهل يمكن للمرء أن يكون له موطنين كما لو أنه يمتلك بيتين ؟ . ثم يسأل الحاخام نفسه ، ما الفارق الكبير بين هذا البلد - <u>وهو بيتي</u> - الذي هاجر إليه جدي من روسيا لكَونِ شوارعه مرصوفة بالذهب ، وبين

---

[103] **" <u>Israel Ties Al-Arian To Jihad Board</u> " , Tampa Tribune , 23 June , 2002**

[104] **" <u>Plea may let U.S. deport Al-Arian</u> " , St. Petersburg Times , 15 April , 2006**

[105] **" <u>American Jewish Support for Israel Increases Dramatically</u> " , American Jewish Committee Press Release , 6 August , 2002**

إسرائيل - وهي موطننا الجماعي - المرصوفة شوارعه بذكرياتنا ؟ [106] . ولا شك أن مثل هذه التساؤلات والأطروحات وغيرها بما تتضمنه من معانٍ مهزوزة عن المواطنة ، قد أثارت الكثير من علامات الاستفهام لدى الباحثين والأكاديميين المعنيين بالشؤون العامة . ولعل أكثر ما أثار فزع واشمئزاز عامة الأمريكيين ، ليس فضيحة تجسس جوناثان بولارد على بلاده أمريكا لصالح إسرائيل فحسب ، بل الدفاع المُستميت لطيْف عريض من اليهود عن بولارد وتبرير خيانته ، وحرصهم اللامحدودعلى أمن إسرائيل قبل أمن الولايات المتحدة . لقد تابع الأمريكيون سيل الاحتجاجات و آلاف المقالات و الرسائل والالتماسات الداعية لإطلاق سراحه ، وكيف ذهب البعض منهم ، في دفاعه عن بولارد ، إلى التباهي العلني بثنائية هويتهم و " بولائهم المزدوج " . ولعل ماكتبته الروائية آن رويفة ، في رسالتها المفتوحة إلى الموساد ، أبلغ مثال على التحدّي السافر لمشاعر الشعب الأمريكي :

" .. *ليس علينا أن نخجل من الاعتراف بعلاقتنا الفريدة مع أورشليم . فنحن نختلف فعلاً في أمريكا عن الإرلنديين - الأمريكيين ، والإيطاليين - الأمريكيين والباكستانيين - الأمريكيين . فروابطنا مع أرض آبائنا أقوى ، وارتباطنا العاطفي مع دولة إسرائيل ثابت فينا تاريخياً ودينياً . لذا دعونا لا نقلق ممن يتساءلون عن ولائنا . فولاؤنا مزدوج وليكن ما يكون ..* " .

وتختتم الروائية " الأمريكية " مقالتها بدعوة الموساد الإسرائيلي القيام بعملية جريئة لتحرير بولارد من سجنه الأمريكي على طريقة العميل جيمس بوند ! [107]

أمام مثل هذه التصريحات المغالية في الوقاحة والازدراء ، طفح الكيل بالأكاديميين الأمريكيين ، وتحوَّل تململهم المكبوت إلى كتابات علنية وغاضبة على مزدوجي الولاء . بل وارتفعت حدَة انتقاداتهم بعد استيلاء المحافظين الجدد ، بطاقمه اليهودي شِبه الكامل ، على مفاصل الحياة السياسية في واشنطن ، ودعواتهم للفوضى الخلاّقة وشنّ الحروب الأمريكية في الشرق الأوسط دفاعاً عن إسرائيل .

ولم تتوان المنظمات اليهودية وإعلامها المُهيَمن في الردَ . وكان أن بدأت حملة مضادة تتهمهم بالعداء لأمريكا .

فبعد أقل من شهر على اعتداء الحادي عشر من أيلول ، افتتح "*المجلس الأمريكي لأمناء وخريجي الجامعات* " [108] هجومه على معظم الجامعات والمعاهد وأساتذتها . ففي التقرير الذي أصدره بعنوان " *في الدفاع عن التمدّن : كيف*

---

[106] **" One Heart, Two Homes : Israel and the Sacred Identity of American Jews " , Rabbi David W. Nelson & Regina Stein , ARZA , 2007**

[107] **" My Two Loyalties " , Anne Roiphe , The Jerusalem Report , 9 April , 1992**

[108] **أحد المراكز البحثية التي أنشأها مجموعة المحافظين الجدد برعاية السناتور اليهودي المتطرف جوزيف ليبرمان وواجهته الفخرية لين تشيني ، زوجة نائب الرئيس الأمريكي .**

خذلتْ جامعاتنا أمريكا ، وما يمكن فعله إزاء ذلك " [109] ، تم التعرّض لعدد من الجامعات الكبرى وإداراتها لعدم تأييدها للحروب الانتقامية التي تزمع الإدارة الأمريكية شنّها . ومع أن الغالبية العظمى من الأمريكيين كان مع استخدام القوة العسكرية – حسب زعم التقرير - لم يكن الأمر كذلك في الأكاديميات . فقد رعى أساتذة الجامعات ندوات واجتماعات مشبوهة لإدانة أمريكا . بل وأشار بعضهم بإصبع الاتهام ليس للإرهابيين بل للولايات المتحدة نفسها ، وذلك في إشارة واضحة لعدائهم لأمريكا .

وعلى ما يبدو ، كان هذا التقرير إشارة البدء لسلسلة من الاغتيالات المعنوية لعدد من الجامعات و للأكاديميين المُعارضين . فقد نشرت المنظمات اليهودية ، إثر ذلك ، عشرات المقالات التحريضية ؛ كان في مقدمتها ما كتبه أو أشرف على تحريره الناشطان ديفيد هوروفيتس ودانييل بايبس ، تحت عناوين بارزة :

- احتشاد أعداء أمريكا في جامعة كارولينا الشمالية (2001)
- *الأساتذة الجامعيون الذين يكرهون أمريكا* (2002)
- *معارض الحروب المعادي للأمريكيين* (2002)
- *اليسار الكاره لأمريكا* (2003)
- *جامعة كولومبيا ضد أمريكا* (2003)
- *لحظة الحقيقة لليسار المعادي للأمريكيين* (2003)

وإذا كانت هذه العناوين توحي بأن كتّابها ومحرّريها من المواطنين الشرفاء والمدافعين عن أمن ومصالح أمريكا في وجه أعدائها الداخليين ، فإن مضمون هذه المقالات ، والترادف القسري في النصّ بين كلمة أمريكا و إسرائيل ، يفضح مفهوم المواطنة و الانتماء لهؤلاء الكتّاب ، ويكشف حقيقة ولاءهم " الأحادي " وليس المزدوج وبما لايقبل الشكّ .

- *إن الأكاديميين (الأمريكيين) بشكل عام يبغضون بلدهم ويبغضون حلفاءها بدرجة أكبر* (بايبس 2002)

- *اليساريون (الأمريكيون) المعادون لأمريكا ، الذين شكلوا طابوراً خامساً في هذا البلد لخيانتنا من الداخل ، يستهدفون إسرائيل كحليف لأمريكا في الشرق الأوسط ... فاليساريون يمتحنون قواهم على إسرائيل ، إلا أن هدفهم النهائي هو الولايات المتحدة* (هوروفيتس 2003)

- *إن المتطرفين اليساريين يملأون الجامعات . فهم يفيضون بالعداء لأمريكا ويدعون للعداء للسامية ويهللون عند مقتل الجنود والمدنيين الأمريكيين ..* (هوروفيتس 2006)

---

[109] **" Defending Civilization : How Our Universities Are Failing America And What Can Be Done About It " , American Counsil of Trustees and Alumni , 11 Nov. 2001**

وعلى هذا النحو ، تكون منظمات الشاندا قد نصَّبت نفسها مرجعية ، تمنح شرفَ الوطنية الأمريكية والـولاء للولايـات المتحدة لمن تشاء وتحجبها عمن تشاء . ولن يكـون مسـتغرباً إذا مـا طالبـت ، فـي يـوم مـن الأيـام ، بسـحب الجنسـية الأمريكية عن هؤلاء الأكاديميين .

عندما تستورد الثقافة

لا شكّ أن القارىء قد لا حـظ فـي الأمثلـة السـابقة ، مـدى الابتـذال وتـدني مسـتوى الخطـاب و الانتقـادات للمنظمـات اليهودية عند تعاملها مع أساتذة الجامعات . أكان ذلك من خلال الطعن بكفاءتهم الأكاديمية أو تسـفيه آرائهـم العلميـة ، وصـولاً إلى التشكيك بمواطنيتهم وولائهـم لأمريكـا . وتهـدف المنظمـات مـن اتبـاع هـذا الأسـلوب الحَطّ مـن هيبـة وقدرالأساتذة وسمعتهم العلمية أمام جامعاتهم وزملائهم و طلابهم ، بـل وإشـغالهم عـن مقـرَراتهم وبحـوثهم بمعـارك جانبية . أما الهدف الأكبر والبعيـد المـدى فهـو إبعـادهم ، كمتخصصـين وخبـراء ،عـن لعـب أي دورإستشـاري فـي الشؤون الداخلية والخارجية لدى الإدارات الأمريكية والكونغرس والإعلام . وقد حقّقت المنظمات هذا الهدف بشكل كبير ، ونجحت في تحيَيد الجامعات وأكاديمييها تماماً عن المنظـومتين التنفيذيـة والتشـريعية علـى مـدى العقـود القليلـة الماضية . بل وعملت على تأسيس مراكز بحوث سياسية (أو مـا يعـرف بالأوعيـة الفكريـة) [110] هيّمن عليهـا طـاقم يهودي من المحافظين الجدد ، يقدم الاستشارات والتقارير للإدارة الأمريكية وبخاصـة في السياسة الخارجية والشرق الأوسط والإسلام ومكافحة الإرهاب وغيرها . و يتباهى مارتين كريمر ودانييل بايبس بهذا الإنجاز ، بالقول إن بضـع عشرات من الباحثين في هذه الأوعية الفكرية غير الأكاديمية ، تمكنوا من ترسيخ صـدقية دراسـاتهم وبحـوثهم بشـكل أفضل من ألفي أستاذ في الجامعات الأمريكية [111] ، [112] .

بضع عشرات من الباحثين (اليهود) أفضل من ألفي أستاذ جامعي ؟ [113] . هذا الخطاب الشـاذ والمتكبّـر ، دخيـل على المثقفين الأمريكيين وغريب على القيم المتعارف عليها بين الأكاديميين . وهذه النظرة الدونيـة إلـى الآخـرين يتعذّر فهمها من دون فهم " الجذور المادية و الثقافية " لأقطاب ونشـطاء منظمـات الشـاندا ، والمُتسـتّرين مـنهم تحـت عباءة المحافظين الجدد . فرغم صعوبة تتبّع الجذور الماديـة لجميـع هـؤلاء (بسـبب تغييـر أسـمائهم وبلـدانهم ، أو

---

[110] **(Think Tanks)**

[111] **" Ivory Towers on Sand " , Martin Kramer , 2001 , P. 105**

[112] **" Getting It Wrong in the Middle East " , Daniel Pipes , Jewish World Review , 5 Nov. 2001**

[113] **عندما يشير كريمر وبايبس إلى الباحثين غير الأكاديميين في الأوعية الفكرية السياسية ، فهما يشيران بشكل خاص إلى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط . فمعظم المؤسسين والإداريين والباحثين فيه هم من اليهود- الأمريكيين أو الإسرائيليين . ونذكر هنا عينة من هذه الأسماء (مارتن إنديك ، دنيس روس ، ريتشارد بيرل ، بول فولفوفيتس ، روبرت سالوف ، ، جوشوا مورافشيك ، أيهود يآري ، زيف شيفَ ، ديفيد فورمزر ، ديفيد ماكوفسكي ، ديفيد شينكر ، ديفيد بولوك ، آفي جوريش ..... وليس آخراً دانييل بايبس ومارتن كريمر !!)**

بيوتهم كما سمّاها الحاخام ديفيد نيلسون) ، تشير المراجع التاريخية إلى أن جذورهم نبتت في تربة واحدة . وترعرعت في بيئة منغلقة على ذاتها رعتها مجموعة من التلموديين المتعصّبين للنسل والدين اليهوديين . فالمنبت الذي جمع الأمريكيين دانييل بايبس وألان ديرشوفيتس وأبراهام فوكسمان وإرفينغ كريستول وبول فولفوفيتس ودوغلاس فيث مع الإسرائيليين بن غوريون و بيغن وشامير و شتيرن ، هو بيتُ أبائهم أو أجدادهم الذين قدموا منه " بولندا " . والتربة التي وحّدت الأمريكيين ديفيد هوروفيتس وإيسايا كينين وسيمون فيزنثال بالإسرائيليين مائير و أشكول و جابوتينسكي ، هي تاريخهم المشترك في " أوكرانيا " . من هذه البيوت ، أو ما جاورها ، كروسيا البيضاء وليتوانيا وغيرها ، تنحدر جذور وايزمان وبيريز و شارون وباراك ونتنياهو وأولمرت وآخرهم ليبرمان . من هناك ، صُدِّرت أبشع أنواع الراديكالية والدوغماتية إلى أرجاء العالم .

وسواءً ارتدى هؤلاء السترات الخاكية في فلسطين ، أو تخفّوا داخل قمصان بيضاء في أمريكا ، فالبوتقة الثقافية التي صهرتهم قبل هجرتهم من دول أوروبا الشرقية كانت واحدة . ثقافة " شعب الله المختار " و " التميّز الاستثنائي "عن الآخر و " التعصب الأعمى للعِرْق اليهودي ! " . ولعل أفضل تعبير عن هذه الثقافة يختصرها لنا قدّيسهم الأوكراني مناحيم مندل شنيرسون بقوله ، إن أجساد اليهود المادية تبدو مشابهة لأجساد الآخرين (من غير - اليهود) في مظهرها الخارجي ؛ و الفارق الكبير يكمن في طبيعة روحهم الداخلية بحيث يمكن اعتبارهم جنساً بشرياً مختلفاً تماماً [114] . وفي حين يرفع الحاخام الأكبر شنيرسون اليهود إلى مرتبة الآلهة على الأرض ، يبقى السؤال الكبير : في أي دَرَك يصنف علماء النفس والمجتمعات الإنسانية هذا الجنس البشري المختلف ؟

الملحق (1)

يبين الجدول التالي بعض الأمثلة عن الأخطاء المرتكبة في كتب التاريخ والثقافة العامة المدرسية الأمريكية ؛ والتي قام " معهد خدمات المناهج " بتصويبها في الطبعات اللاحقة بالتعاون مع كبريات دور نشر الكتب المدرسية

Examples of Problems from *The Trouble With Textbooks* that ICS has Corrected Through its Work with the Major Textbook Publishers

النص الأصلي في الكتاب	النص بعد التصويب

[114] **Rabbi Menachem Schneerson : (** The Jewish body looks as if it were in substance similar to bodies of non- Jews …The difference of the inner quality , however , so great that the bodies should be considered as completely different species ..)

Original Problem Text	Corrected Texts due to ICS's Involvement
If Abraham moved to the land of Canaan (**Palestine**), he would be blessed, and all nations would be blessed through him. Because of this covenant, Abraham's Israelite descendents believed that they were God's **'chosen people'** and would remain so as long as they followed God's laws." Glencoe, *The World and Its People*, 2005, p. 474 (Cited on p. 55, Tobin and Ybarra)	If Abraham moved to the land of Canaan (**Israel**), he would be blessed, and all the nations would be blessed through him. Because of this covenant, Abraham's Israelite descendants believed that they would be blessed if they followed God's laws." Glencoe, *The World and Its People*, 2007, 474
Books for the Teacher, "Carey, Roane. The New Intifada: Resisting Israel's Apartheid. New York: Verso, 2001." McDougal Littell, *Modern World History: Patterns of Interaction*, 2005, p. 667 (Cited on p. 110, Tobin and Ybarra)	Books for the Teacher, **Delete**: "~~Carey, Roane. The New Intifada: Resisting Israel's Apartheid. New York: Verso, 2001~~." McDougal Littell, *Modern World History: Patterns of Interaction*, 2009, p.1101.
"A picture shows a lone boy with a slingshot facing an Israeli tank: exactly David against Goliath." p. 146 of Tobin and Ybarra regarding the picture p. 667 of McDougal Littell's Modern World History: Patterns of Interaction, 2005.	ICS review comment: "Replace the picture of the boy throwing a rock at a tank, clearly a staged propaganda photo" Publisher response: McDougal will revise the text to reflect the ICS recommendations and will review alternate images for possible replacement, or will delete the image entirely to make room for new text. Result: 2009 edition, p. 667, boy with rock picture is gone
Textbooks imply Jewish responsibility for the crucifixion of Jesus Issue raised, p. 73, Tobin and Ybarra Note: The authors refer to the decision made by the California Department of Education to oppose any edits which support the charge of deicide against the Jews. ICS was instrumental in securing this decision.	Example 1 from Houghton Mifflin, World History: Ancient Civilizations, p. 466: "Explains the conflict between Jesus ~~and Jewish~~ and Roman authorities." Example 2: From Prentice Hall, World History: The Modern World, p. 34: "Others, particularly the chief Jewish priests, regarded Jesus as a dangerous troublemaker…After his arrest, Jesus was crucified." "~~Others, particularly the chief Jewish priests, regarded Jesus as a dangerous troublemaker~~ … After his arrest, Jesus was crucified by the Romans."

mhs , 2009